مقامَـــة الـهـمّـــة

وَالسَّابِقُون السَّابِقُون

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مقـامَـــة الـبخــلاء

﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾

إنـي نزلـت بكـذابين عــن القــرى وعــن
ضـــــــــــيفهم التـرحـــال مـــردود
حـــمـد الـرحـــال الـــى ان الـبـخـل فلا كانوا

البخيل نذل ، والبخل خلق رذل ، وحسبك أن الرسـول ﷺ

.

.

.

.

[illegible] .

مقـامَـــــة الـسـعـادة

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مقـامَــة الفــرج بعـد الشــدة

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

عسـى فـرج يكـون عسـى

نعلـــل أنفســـنا بعســـى

فلا تجـزع إذا حملـت همـاً

فأقرب ما يكون المرء من

إذا ضـاق الأمـر اتسـع ، وإذا اشـتد الحبـل انقطـع ، وإذا اشـتد الظلام بـدا الفجـر وسـطع ، سـنة ماضـية ، وحكمـة قاضية ، فلتكن نفسك راضية ، بعد الظمأ ماء وظـل ، وبعـد القحط غيث وطل ، يا من بكى من ألمه ، ومرضه وكدّه ،يـا من بالغت الشـدائد فـي رده وصـده ، عسـى اللـه أن يـأتي بالفتح أو أمـر من عنده :

دع المقــادير تجــري ولا تــبيتن إلا خالــي
فـــــي أعنتهـــــا البالـــــــــــــي
ما بيــن غمضـة عيــن يغيّـر اللـه مـن حـال

ما عرفنا لكثرة حزنك عذرك ، سهِّل أمرك ، وأرح فكرك ، أما قرأت ألم نشرح لك صدرك ، ألا تفرح ، وفي عالم الأمل تسرح ، وفي دنيا اليسر تمـرح ، وأنـت تسـمع ألم نشرح ، يامن شكا الخطـوب ، وعـاش وهـو منكـوب ، ودمعـه مـن الحـزن مسـكوب ، فـي قميـص يوسـف دواء عيني يعقوب ، وفي المغتسل البارد شفاء لمرض أيوب .

الغمـــرات ثـــم ثمـــت يـــذهبنا ولا

للمرض شفاء ، وللعلـة دواء ، وللظمـأ مـاء ، وللشـدة رخاء ، وبعد الضراء سراء ، وبعد الظلام ضياء ، نار الخليل تصبح باليسر كالظل الظليل ، والبحـر أمـام موسـى يفتـح السـبيل ، ويـونس بـن مـتى يخـرج مـن الظلمـات الثلاث بلطف الجليل .

المختار في الغار ، أحـاط بـه الكفـار ، فقـال الصِدِّيق هـم علـى مسـافة أشـبار ، ونخشـى مـن الـدمار ، فقـال الواثق بالقهار ، إن الله معنا ، وهو يسمعنا ، ويحمينا كما جمعنا .

هـــي الأيـــام وأمر الله ينتظـر
والغيـــــــر فأيـــن اللـــه
أتيـأس أن تـرى والقـــــدر

قل لمن في حضيض اليـأس سـقطوا ، وعلـى الشـؤم هبطوا،وفي مسألة القدر غلطوا ، اعلموا أنه ينـزل الغيـث من بعد ما قنطوا ، كان بلال يسـحب علـى الرمضـاء ، ثـم رفـع علـى الكعبـة لرفـع النـداء ، وإسـماع الأرض صـوت السماء .كان يوسف مسجوناً في الدهليز، ثـم ملـك مصـر بعد العزيز ، كان عمـر يرعـى الغنـم فـي مكـة ، ثـم نشـر بالعدل مُلكه ، وطبعت باسـمه السَّكة ، وهـو الـذي قطـع حبل الجور وفكَّه ، وسحق صرح الطغيان ودكَّه .

يا من داهمته الأحزان ، وأصبح وهو حيران ، وبات وهو سهران ، ألم تعلم أنه في كل يوم له شـأن ، يـا مـن هـده الهم وأضناه ، وأقلقـه الكـرب وأشـقاه ، وزلزلـه الخطـب وأبكاه ، أنسيت من يجيب المضطر إذا دعاه .

إذا اشـــتملت علـــى وضاق بما بـه الصـدر
اليـــأس القلـــوب الرحيـــــــــب
وأوطنـــت المكـــاره وأرست في أماكنهـا
واطمـــــــــأنت الخطـــــــــوب
ولـم تـر لانكشـــاف وما أجـــدى بحيـلتـــه
الضـــــر نفعـــــاً الأريـــــــــب
أتـــاك علـى قنـــوط يمـن بـــه اللطيـــف

سـيجعل اللـه بعـد عسـر يسـراً ، ولا تـدري لعـلّ اللـه يحدث بعد ذلك أمراً .

سينكسر قيد المحبوسين ، فـي زنزانـات المتجـبرين ، وسيسقط سوق الجلادين ، الذي قطعوا به جلود المعذبين ، وسيمسح دمع اليتـامى ، وتهـدأ أنـات الأيـامى ، وتسـكن صرخات الثكالى . هل رأيت فقيراً فـي الفقـر أبـداً ، هـل

أبصرت محبوساً في القيـد سـرمداً ، لـن يـدوم الضـر لأن هناك أحداً فرداً صمداً .

من أكثر من الاستغفار جعـل اللـه لـه مـن كـل ضـيق مخرجـا ، ومـن كـل هـمٍّ فرجـا،بلا حـول ولا قـوة إلا بـالله تحمل الأثقال ، وتسهل الأهوال ، وتصلح الأحوال ، ويشرح البال ويرضى ذو الجلال . بشر الليل بصبح صادق يطـارده على رؤوس الجبال ، وبشر القحط بماء زلال ، يلاحقه في أعماق الرمال ، وبشـر الفقيـر بمـال ، يزيـل عنه الإملاق والأمحال :

مقامة الفرج بعد الشدة

لا تيأس عند النـــوب ... مـــن فرجـــة تجلـــو
واصــبر إذا مــا نــاب ... الكـــــــــــــرب
خطـــــــــــــب ... فالزمان أبو العجــب
وترج مــن روح الإلــه ... لطـائفـاً لا تحتــسب

واعلم أن لكل شدة ، مدة ، وإن على قـدر المؤونـة ، تنـزّل المعونة ، وإن الله يستخرج البلاء ، بصادق الـدعاء ، وخالص الرجاء .

واعلم أن في الشدائد إذابة الكبر ، واسـتدرار الـذكر ، وجلب الشكر ، وتنبيه الفكر.

فارحل بقلبك إذا الهم برك ، واشرح صدرك عند ضيق المعترك ، ولا تأسف على مـا مضـى ومـن هلـك ، فليـس بالهموم عليما درك ، واعلم أنه لا يـدوم شـيء مـع دوران الفلك ، وعسى أن تكون الشدة أرفق بك ، والمصيبة خير لك . فإذا ضاقت بك السبل ، وانقطعت بك الحيل ، فالجـأ إلى الله عز وجل .

واعلم أن الشدائد ليست مستديمة ، ولا تبقى برحابك مقيمـة، ولعـل اللـه ينظـر إليـك نظـرة رحيمـة ، والـدنيا أحـوال ، وألـوان وأشـكال ، ولـن تـدوم عليـك الأهـوال ، فسـوف تفتـح الأقفـال ، وتوضـع عنـك الأغلال ، واصـبر وانتظر من الله الفرج ، فكأنك بليل الشدة قد انبلج :

لا تعجـــلن فربمـــا عجـل الفـتى فيمـا
فـالعيش أحلاه يعـــو يضـــــــــــــــره
ولربمـا كـره الفتـى د على حـلاوته بمـره
أمـراً عـواقبه تسـره

واعلم أن الشـدائد تفتـح الأسـماع والأبصـار ، وتشـحذ الأفكـار ، وتجلـب الاعتبـار ، وتعلـم التحمـل والاصـطبار ، وهي تـذيب الخطايـا ، وتعظـم بهـا العطايـا ، وهـي للأجـر مطايا .

فـاطلب مـن اللـه الرعايـة ، واسـأله العنايـة ، فلكـل مصيبة غاية ، ولكل بلية نهاية .كم من مرة خفنا ، فـدعونا ربنا وهتفنا ، فأنقذنا وأسعفنا ، كم مرة جعنا ، ثـم أطعمنـا ربنا وأشبعنا ، كم مرة زارنا الهم ، وبرح بنا الغم ، ثم عـاد سرورنا وتم ، كم مرة وقعنا في الشباك ، وأوشـكنا علـى الهلاك ، ثم كان من الله الانطلاق والانفكاك ، أنت تعامـل مع لطيف بعباده، معروف بإمـداده ، جـواد فـي إسـعاده ، غالب على مـراده ، فلُـذ بـه ونـاده ، إذا داهمتـك الشـدائد السود ، وحلت بك القيود ، وأظلم أمامك الوجود ، فعليـك بالسجود ، وناد يا معبود ، يا ذا الجود ، أنت الرحيم الـودود ، لترى الفرج والنصر والسعود :

لطائف اللـه وإن طـال
كلمحـــة الطـــرف إذا
كم فرج بعد إيـاس قــد
وكم سرور قـد أتى بعـد

أيها الإنسان في آخـر النفـق مصـباح ، ولِبـاب الهمـوم مفتاح ، وبعد الليل صباح ، وكم هبـت للقـانط مـن الفـرج رياح .

أيها الظمآن وراء هذا الجبـل مـاء ، أيهـا المريـض فـي هذه القارورة دواء ، أيها المسـجون انظـر إلـى السـماء ، أيها المتشائم امسك حبل الرجاء .

كن كالنملة في صـعود وهبـوط ، وعلـو وسـقوط ، ولا تعرف اليأس ولا القنـوط ، ولا تعـترف بالإحبـاط فـي كـل شوط .

كن كالنحلة في طلب رزقها قائمة ، وفي حسن ظنهـا دائمـة ، وعلـى الزهـور حائمـة ، وفـوق الـروض عائمـة وليست مع اليأس نائمة .

كن كالهدهد ، مع كل صباح ينشد ، ومع الربيع يتجـدد ، وعلـى بلقيـس تـردد ، وسـليمان لـه تفقـد ، فأسـلم لربـه ووحد ، وأنكر على من كفر وألحد ، فنال المجـد المخلـد ، والذكر المؤبد .

أيهـــا المشتـــكي ومـــا
كيـــف تغـــدو إذا غـــدوت
أتـــرى الشـــوك فـــي
أن تـــرى فوقـــه النـــدى
والـــذي نفســـه بغيـــر
لا يرى في الوجود شيئاً

على رؤوس الجبال شمس من الفرج شارقة ، وعلى مشـارف التلال هالـة مـن النـور بارقـة ، وعلى كل باب للحزن من السرور طارقة .

معلقة على باب الشدة

افتح عينيك ، ارفع يـديك ، لا تسـاعد الهـم عليـك ، ولا تدعو اليأس إليك .

السمك والقرش ، والطيور والطرش ، كلها ترجو رب العرش ، فاتجه أنت إليه ، واشك الحال عليه ، فإن فرجـه أسرع من البرق الخاطف ، وله في كل لحظة لطائف .

اللهم اصرف عنا المصائب ، ورد عنـا النـوائب ، وكُـف عنا كفّ المعائب .

اللهم سهّل الحزون ، وهوّن المنون ، وأشبع البطون ، وافتح للمضطهدين أبواب السجون ، واجعل الخائفين مـن أمنك في حصون ، اللهم احلـل الحبـال المعقـدة ، وسـهل

الأمور المشددة ، واكشف السحب الملبّدة ، وأجب سهام الليل المسددة .

اللهم اجعل لليـل همومنـا صـباح مـن الفـرج يشـرق ، ولظمأ أكبادنا نهر من الأمـل يتـدفق ، ولجـراح مآسـينا يـد بالشفاء تترفق .

اللهـم أغننـا عـن النـاس ، وارزقنـا ممـا فـي أيـديهم اليأس ، ورد عنا البأس ، واجعل التقوى لنا أجمـل لبـاس ، وأقوى أساس .

لك الحمد حتى يملأ طباق الغـبراء ، وأجـواء السـماء ، ولك الثناء حـتى تشـدو بـه الأطيـار ، وتميـل بـه الأزهـار ، ويحمله الليل والنهار .

ولك المجد يا ذا الجود ، ما قام الوجود ، وسـال المـاء في العود ، ونصب للحياة عمود

هـل يرجـى سـواك ، هـل يعبـد إلا إيّـاك ، هنيئـاً لمـن دعاك ، وطوبى لمن ناجاك .

والصلاة والسلام علـى عبـدك ومصـطفاك ، وحامـل هداك .

وختامـاً :

اشـــتدي أزمـــة قد آذن ليلك بالبلج

المقـامَــة الشبـابيّـــة

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

بكيتُ علـى الشـباب فمـا نفـع البكـاءُ ولا
بـــــدمع عينـــــي النَّحيـــــــــــبُ
فيــا أســفاً أســفتُ نعاه الشيبُ والرأس
علـــــى شـــــبابٍ الخضـــــــــيبُ
عَريـتُ مـن الشـبابِ كما يَعْرَى من الـورق

قـال الـراوي : دخلنـا علـى جماعـة مـن الشـباب ، قـد أسدلوا الشعر وأسبلوا الثياب ، ووقعوا في جدال وسـباب ، فقام خطيبنا فقـال وأصـاب ، وأقسـم بمـن أنـزل الكتـاب ، وأجرى السحاب ، وهزم الأحزاب ، أن الشـباب أمـل الأمـة المنشود ، وعلمها المعقود ، وسجلها المحمـود ، ثـم التفـت إلى الشباب فقال ، وقد فاض دمعه وسال : ما لكم خالفتم السنة ، وهجرتم طريق الجنة ، تركتم هدي النبي ، وتشبهتم بالأجنبي ، قال أوسطهم طريقة ، وأعرفهـم حقيقـة : لمـاذا وجهت الكلام إلينا ، وماذا تنقم علينا ؟

قال الخطيب : سبحان الملك القدوس ، ما أغـبى هـذه النفوس!،أليست أوقاتكم في القيل والقال ، وإضاعة المال ، وهدر الساعات الطـوال ، قصَّرتم فـي الطاعـة ، وبـالغتم في الإضاعة ، وفرطتم في صلاة الجماعة ، هجرتم القرآن ، وأطعتم الشيطان ، وغرّكم الشباب الفتّـان ، ألسـتم أحفـاد المهاجرين والأنصار ، وأبناء الأبـرار ، وعليكـم تعلـق الآمـال الكبار . فقام أصغرهم ، وهو فـي العيـن أحقرهـم ، فقـال : أيها الخطيـب ، يكفـي هـذا التـأنيب ، فـإنهم قـالوا : لا ينفـع التهذيب فـي الـذيب ، واعلـم أنـا فـي عصـر الصـبا ، كنبـت الربى ، وكم مـن سـيف نبـا ، وضـوء خبـا ، وجـواد كبـا ، فلا تشمت بنا العِدا ، ولا تكثر المـرا ، قـال الخطيـب : عجـب ، أيها الخب ابن الخب ، أتيـت بعـذر أقبـح مـن ذنـب ، أتعتـذر بالشبيبة ، لعمل كل خيبة ، فهذه مصـيبة ، هـؤلاء الصـحابة ، كلٌّ حفظ شبابه ، وحمل كتابه ، وخاف حسابه ، وهل عندكم

عهـد وأمـان ، مـن طـروق الحـدثان ، أم أنكـم فـي لهوكم الشابّة تلعبون ، ولهواكم تركبون ؟

قال قائل منهم ، وقد ناب عنهم ، يا عم : ما كان الرفق في شيء إلا زانـه ، ومـا نـزع الرفـق مـن شـيء إلا شـانه . ونحن في مقتبل العمر ، وفي غفلة من الدهر ، فدعنا نبهـج ابتهاج الزهر ، ونقبل علـى الـدنيا إقبـال القطـر ، كمـا قـال الشاعر :

أقبــل علــى اللــذات
تطــوى بــك الأيــام
واتــرك مــواعظ مــن
قبل الـردى يـا صـاحبي

قال الخطيب والذي قرّت بحبه العيون ، وأزال بـالعلم الظنون ، إنكم في غيّكم تلعبون ، ومن حتفكـم تطربـون ، أين العقول هل ذهبت ، أين البصائر هل سُلبت ، أما ترون أنه يُسـاق بكـم إلـى القبـور ، وكـل واحـد منكـم مغـرور ، تغترون بالمُهلة ، وتظنون أن الأمور سهلة :

فلا تقـل الصـبا فيـه امتهـــــال
وفكر كـم صـبيٍّ قـد دفنتـــــــا

يا قوم : الأنفاس تكتب عليكم ، والمنايا تـزف إليكـم ، فقال أحدهم : فماذا نفعل أيها الواعظ ؟ فإني أراك تنتقـد وتلوم وتلاحظ ، هل ترانا فـي حياتنـا أخطأنـا ، وعـن منـاد الصلاح أبطأنا ؟ قال الخطيب : أين نـور الهدايـة ، وحسـن البداية ، والاسـتعداد للنهايـة ، المسـاجد منكـم مهجـورة ، والمقــاهي بكــم معمــورة ،كــل منكــم ركــب لهــوه وطيشه،وأقبل علـى الـدخان والشيشـة ، تسـبلون الإزار ، وتطيلون الأظفار ، وتقلّدون الكفار ، تضـيّعون الصـلوات ، وتقعون فـي الشـهوات ، وتسـهرون السـاعات ، وتزجـون الأوقات ، لم تفلحوا في دنيا ولا دين ، وأراكـم فـي غيّكـم قاعدين ، لستم في صلاح ولا طاعة ، ولا سنة ولا جماعة ، ولا صناعة ، ولا زراعة ، ولا جلب بضاعة .

شـباب الغـرب فـي المصـانع عـاكفون ، وإلـى العمـل منصرفون ، وفـي التجـارة محـترفون ، وبالجـد والمثـابرة متصـفون ، المهنـدس منهـم فـي صـناعته ، والفلاح فـي زراعتـه ، والتاجــر فـي متابعـة بضـاعته ، والطـبيب فـي عيادته .

المقامَة الشابّة

وأنتم ماذا فعلتم ، وأروني ماذا عملتم ؟

أحدكم في الليل جيفـة ، وفـي النهـار ريشـة خفيفـة ، قَصـَلْتم مــن الجامعــة ، وهجرتــم القــراءة والمطالعــة ، وجلسـتم علـى القارعـة ، كـل منكـم قـد أزعـج شـارعه، شغلتكم الأغاني والأماني عن المثاني ، للرياضة تشجعون ، وللمنتخب تتابعون ، وللملاعـب تسـارعون ، وفـي اللهـو واللغـو بـارعون ، حيـاتكم فوضـة ، تتـابعون آخـر موضـة ، كأنكم أطفال الروضة.

متى عهدكم بالقرآن ، هل حفظتم شيئاً من سـنة ولـد عدنان ، لا تعرفون المؤلفين والمكتشـفين ، والمخـترعين والبـارعين ، ولا تـذكرون أحـداً مـن العلمـاء والحكمـاء ، والأدباء، والأولياء ، حفظتم عن ظهر قلب أسماء المغنيّين ، واللاعبين ، واللاّهين، والمسرحيّين ، والممثلين ، عققتــم الأوطان ، وأطعتم الشيطان .

هَـمُّ أحـدكم حـذاء وسـاعة ، وميداليـة لمّاعـة ، كـأنه شمّاعة .

مـا لكـم أهـداف سـامية ، ولا همـم عاليـة ، ولا أخلاق غاليـة ، مـا عنـدكم عزائـم ، أصـبتم بإحباطـاتٍ وهزائـم ، مقصد أحدكم الأفراح والولائم .

ألستم أحفاد الراشدين ، وأبنـاء المجاهـدين ، وسـلالة العابدين .

صـار هـمّ أحـدكم ثيـاب فـاخرة ، وجلسـات سـاخرة ، أرضيتم بالحياة الـدنيا مـن الآخـرة . كـأنكم أطفـال يفـرح أحدكم بركـوب السـيارة ، ومشـاهدة الطيـارة ، ومعايشـة السـيجارة ، تحفظـون أسـماء اللاعـبين ، وتغفلـون عـن أسماء العلماء العاملين ، اتركـوا الشـوارع، واخرجـوا إلـى

الجوامع ، اذهبوا إلى المصـانع ، هبـوا إلـى المـزارع ، هيّـا إلى الحدادة والنجارة ، هيّـا إلـى الصـناعة والعمـارة ، هيّـا إلى البيع والتجارة ، هيّا إلى الورشة والنشارة .

نريد منكم علماء وحكماء وأطباء وأدباء .

شباب الحق للإسـلام فـأنتم مجـده وبكـم عـــــــــــودوا يســـــــــــود

وأنتم فجر يوم الراهن وأنتم بسّ نهضته

فقال أحدهم وقد تسـربل بالخجـل ، وتكنفـه الوجـل ، فتكلم على عجل ، فقال : لسنا سبب الضياع ، وإنما آباؤنا الرعاع ، أهملونا من زمن الرضـاع ، مـا أعطونـا مـن مـاء التربة ولو قطـرة ، وفـي الحـديث كـل مولـود يولد على الفطرة .

ما كانوا يسألون عنّا ، كأنـا لسـنا منهـم وليسـوا منّـا ، ربّونا تربية الدواب، وعلمونا تعليم الأعراب ، فنفوسنا مـن الآداب خراب .

أشغلونا بالتلفزيون ، والتلفون ، وسيّـبونا في السـكك مع شباب يهمزون ويغمزون ، ما أخذونا إلى المساجد ، ما عرّفونا على عالم واحد ، ما حفّظونا الآيـات البيّنـات ، مـا علّمونا الأحاديث النبويّـات ، أهملونـا للمجلاّت الخليعـات ، والأفلام المائعات، والسهرات الضائعات . غرسوا فينا حب الرذيلة ، وكراهية الفضـيلة ، علّمونـا سـوء الأدب ، وكـثرة الضحك من غير سبب ، وسرعة الغضب ، وإضاعة الطلب .

فقال الخطيب : قد سـمعت مـا قلـت ، وأنـت بـالحق نطقت ، وبررت فيمـا قلـت وصـدقت ، ولكـن مـا عـذركم الآن ، وقد وضح لكم الربح من الخسران ، والتوفيـق مـن الخذلان ، وقد قال شاعر أصفهان :

هب الشبيبة تبـدي عـذر ما بال أشـيب يسـتهويه

فليـس لكـم عـذر فـي الآبـاء ، ولا تـزر وازرة وزر أخرى ، أيها الأبناء ،جددوا التوبة، وأصلحوا الأوبة ، وارقعوا

بيد الصلاح ما تمزق من ثوب الأعمار،واغسلوا بدمع النـدم ما تركتـه الـذنوب مـن غبـار ، واتركـوا مصـاحبة الفجّـار ، ومصادقة الأشرار ، ومرافقة الشطار ، والتشـبه بالكفـار ، أقبلوا على الحياة السعيدة ، واعكفوا على الكتب المفيدة ، وتخلّقوا بـالأخلاق الحميـدة ، واحملـوا الآداب الرشـيدة ، حافظوا على تكـبيرة الإحـرام ، واجتنبـوا الحـرام ، وتوبـوا من العشق والغرام ، وارتفعوا إلى منازل الكرام ، تذكّروا المـوت وسـكرته ، والقـبر وظلمتـه ، والحسـاب ودقتـه ، والصراط ومزلته ، تفكروا في البعث والنشور ، يوم يبعثر ما في القبور ، ويحصّل ما في الصدور ، وينفخ في الصـور ، ويعضُّ على كفه المثبور ، وتقصم الظهور .

واللـه لـو عـاش الفـتى

ألفاً من الأعـوام مالــك

ما كان ذلك كله فــي أن

فيهـا بـأول ليلـة فــي

المقامَة العاشرة

فلما سمعوا كلامه ، وشاهدوا مقامه ، غلبتهم الحسرة والندامة ، ووضع كل منهم على وجهه أكمامه ، وبكوا بكاء من عاين القيامة ، وتذكر لياليه وأيامه .

فرفع الخطيـب يـديه ، واجتمعـوا عليـه ، ودنـوا إليـه ، فقال: اللهم يـا قـويّ الأسـباب ، يـا كريـم الجنـاب ، افتـح لعبـادك الأبـواب ، وتـب علـى مـن تـاب ، وارحـم هـؤلاء الشباب ، فإنك تقيل العثرات ، وتغفر الزلات ، وتعفو عـن السيئات ، وتتجاوز عن الخطيئات ، اللهم أصـلح قلـوبهم ، واستر عيوبهم ، واحفظ غيوبهم ، واغفر ذنوبهم .

ثم قال الخطيب : هيّا بنا إلى المسجد ، لنركع ونسجد ، ونصلي ونتعبد ، ونعود إلى اللـه فـالعود أحمـد ، ونقتـدي بالرسول محمّد .

فسـمعوا نـداءه ، وأجـابوا دعـاءه ، وذهبـوا وراءه ، فأصلح الله لهم البال ، ووفقهم لأحسن الأعمـال ، وأزكـى الأقوال ، وأشـرف الأحـوال ، فصـاروا كـالنجوم الزاهـرة ، والبدور الباهرة ، بقلوب طاهرة ، وأعمال بالخير ظاهرة .

المقـامَــة السيـاســيّــة

((كل بطـاّح من الناس له يــوم بطـوح))

مـــن مخـــبر القـــوم أني رجعت إلى كتبي
شطت دارهـم ونـأت وأوراقـــــــــــي
عفت السياسة حـتى وقد رددت إليهـا كـل
مـــا ألـــم بهـــا ميثـــــــــــاقِ

مالك في ديار السياسة تجوس ، اهرب من ساس يسوس ، أما علمت أن وجهها منحوس ، ورأسها منكوس ، وهي التي قطعت الرؤوس ، وأزهقت النفوس ، وضيّعت الفلوس ، وحملت الناس على اليمين الغموس ، طريقها معكوس ، وعلى جبينها عبوس ، سودت الطروس ، وكسرت التروس ، وخلعت الضروس ، كسفت من أجلها شموس ، وفتحت بظلمها حبوس ، وقطعت بجورها غروس ، كانت الدنيا قبلها عروس ، وهي التي عطلت الناموس ، وأباحت المحرمات للمجوس .

لا تـــل الأحكـــام وإن همـــوا
إن نصف الناس أعداء لمن ولـــي

عقرت هارون الرشيد في طرطوس ، وقتلت محمد بن حميد في طوس ، واجتاح بها ديار الإسلام أهل البوق والناقوس ، إذا أقبلت تدوس ، وإذا أدبرت تحوس ، بذريعتها لعب الأمريكان في العالم والرُّوس ، تدبّ في القلوب كالسوس ، وتختفي في العقول كالجاسوس ، عاشقها يتخبطه الشيطان كأنه ممسوس ، أشار إليها الحسين فخطفت رأسه، ومازحها الحجاج فخلعت أضراسه ، وداعبها أبو مسلم فأحرقت لباسَه،وزارها مصعب فقتلته وحراسه ، وأحبها يزيد فقطعت أنفاسه ، وصافحها المختار فمزقت أحلاسه ، وأحبها المهلب فاقتلعت أساسه ، وعشقها المتوكل فسلطت عليه جُلاّسه ،وشربها القاهر فكسرت عليه كأسه ، وعانقها ابن الزيات فأحرقت قرطاسه ، وجالسها ابن المقفع فأبطلت قياسه ، كم من

ذكي ضيعت مراسه ، وكم من غبي أخرجت وسواسه ، السياسة بالنفاق نجاسة ، وبالغباء تياسة ، وبالغدر تعاسة ، وبالجور خساسة ، وبالظلم شراسة ، اجتنبها أهل الكياسة ، ومات في حبها أهل الرياسة ، بذلوا في حبها الدين والحماسة ، وما حصلوا إلا على التعاسة ، تقاتلوا عليها حسداً ونفاسة ، قُتل البرامكة لأجلها بحجة عباس وعباسة ، فأصبحوا بعد الملك خبراً في كراسة ، وبعد الوزارة دفتراً على ماصة ، هي الوسواسة ، الخناسة ، تذهب بالنجابة والكياسة ، وكم من شجاع أذهبت باسه ، وعقرت أفراسه ، أهلها يُسمّون ساسة ، كل منهم قد حمل على أخيه فاسه .

المقامة السياسية

سعيد النورسي ، بالسياسة نسي ، لينين واستالين ، قتلوا بالسياسة الملايين، فكتبوا في تاريخ الملاعين ، هولاكو الغازي ، وهتلر النازي ، قتلوا باسم السياسة الإنسانية فأصبحوا في الخانة المنسية .

الكلب أكرم عشرة وهو النهاية في
من معشر طلبوا الخساسه
الرئاسة قبل تحقيقه

كسر كسرى بالسياسة ظهور أهل فارس ، فقيل له :لم فعلت ذلك ؟ فقال: ساس يسوس فهو سائس ، وقصّر قيصر بالسياسة أعناق الروم ، فقيل له لم هذا الصنيع يا محروم ؟ فقال : أردت إصلاح البلاد ، ورحمة العباد .

كدعواك كل يدعي ومن الذي يدري بما

بقنابل سياسة العميان ، دمرت اليابان ، وقتل الصرب الألبان ، واحتل الروس الأفغان ، وجلد المستضعفين شاه إيران ، واعتدى الألمان على الجيران . لكن ذكر كل كافر بربه ، آية : ﴿ فَكُلًّاأَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ .

وكل ما سبق حديثٌ عن السياسة الفاجرة الكافرة ، الساحرة الساخرة .

وهي السياسة البدعيّة ، القائمة على ظلم الرعيّة ، وإهدار الحقوق المرعيّة ، من رأسمالية ، وبعثية ، ونازية ، وشيوعية ، وصان الله من ذلك السياسة الشرعية، لأن

السياسة الشرعية رحمة بالبشر ، واتباع للأثر ، ومحاربة من كفر ، وردع من فجر، وهي التي على دستور عمر ، إمام السياسة الشرعية الرسول ، أعدل العدول ، وأفقه الناس في المنقول والمعقول ، وصاحبه الصديق ، بالأمة رفيق ، له عهد مع العدل وثيق ، وقلب من التقى رقيق ، وتلميذه عمر الذي كان وهو خليفة يئن من الجوع ، ويلبس المرقوع ، وتغلبه الدموع ، أولئك هم الناس ، وبهم يضرب القياس ، ويحل الأمن ويدفع الباس .

المقامة السياسية

وليس لمن خالفهم إلا الإفلاس ، والابتئاس ، والاتعاس ، ليت السيوف الحداد ، لا تعاون أهل الفساد ، في ظلم العباد ، فبسياسة الجور والعناد ، قتل الحسين بسيف ابن زياد . بأيّ سياسة يُكرم جهلة الأنباط ، وتدفع الجوائز لأهل الانحطاط، ويُجلد أحمد بن حنبل بالسياط ، على البلاط :

فيـــا مـــوت زر إن ويا نفـس جـدِّي إن

بأْيّ سياسة يتولى الوليد بن يزيد ، وهو الرعديد ، البليد ، المريد ، وهو الذي فتح المصحف فوجد فيه : واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ، غنته الجارية وهو في السكر ، والنكر ، شارد الفكر ، ذاهب الذكر ، تارك الشكر ، فقال من الطرب : إلى أين أطير ، قال العلماء : طر إلى السعير يا عير . فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ

بأي سياسة يصبح الحجاج الوزير ، صاحب الدف والزير ، ليقتل ابن الزبير ، بلا قصاص ولا تعزير .

بأي سياسة يُذبح سعيد بن جبير ، العالم النحرير ، والمحدث الشهير ، وتعطى الجوائز لزرياب ، وتخلع عليه الثياب ، والعلماء يُدفعون عند الأبواب . لو أن المأمون فقه سنة الرسول الأمين ، ولو أن المعتصم درس سنة المعصوم ، لما عذبوا أحمد بن حنبل ، سمّي أحمد النبي المبجل ، لأن أحمد بن أبي دؤاد ، أشغلهم عن الإسناد ، بأقوال أهل الفساد ، وبنقولات فلاسفة بغداد ، وجهلة السواد .

يا لها من سياسة خربانة ، تكرم الزنديق وأعوانه ، وتضع ابن تيمية في زنزانة ، وتحجب عنه إخوانه ، بالسياسة تغزو العالم المزدكية ، وتحكم بغداد الأسرة البرمكية ، ويقتل ذو النفس الزكيّة ، بأي سياسة خرج التتار ، بكل بتار ، فخربوا الديار ، وقتلوا الصالحين الأبرار ، وهدموا كل مسجد ودار، براءة من الله ورسوله إلى سياد بري، لأنه على الدماء جري ، شنق علماء المالكية ، والشنق عند مالك حرام بالكليّة .

السياسة العامّة السياسّة

دستم من رستم ، مع هليا مريام منجستم ، يا كم تنجستم ، وغرتكم الأماني وتربصتم . بأي سياسة سمى الشيوعيون أنفسهم بالرفاق ، وهم أهل النفاق ، والشقاق ، وسوء الأخلاق . كنىّ أبو جعفر الخراساني أبا مسلم ، فلما ذبحه قال : مت يا أبا مجرم .

أبو مسلم تبختر ، وتكبر ، وتجبر ، فبقر بطنه أبو جعفر ، بالخنجر ، فسحب بعد الملك في السلك وجرجر ، ما شاء الله يجلس الخليفة في بغداد ، على الوساد،ويصفق له العباد ، ويحرسه الأجناد ، فتغنيه الجارية بصوت جميل ، وشَعْرها يميل :

قفـا نبكـي مـن ذكــرى

فيقع الخليفة في الطرب ، فيصب على الجارية الذهب ، وأحمد بن حنبل مسجون في الحق بلا سبب . يجلس الخليفة العباسي ، على الكرسي ، ويقول : يا ناس قبّلوا رأسي ، وامسحوا مداسي ، وقربوا قرطاسي .

فيقوم شاعر طرطور ، منافق مدحور ، فيقول : ما خلق الله مثلك أيها الخليفة ، فأنت صاحب الأخلاق الشريفة ، والمعاني اللطيفة ، والأمجاد المنيفة ، فيقول الخليفة : يا غلام : أعطه ألف دينار ، واكتبوه من خدم الدار ، فشِعْره تاج الأشعار ، هذا وسفيان الثوري عالم الديار ، وزاهد الأمصار ، لا يجد كسرة خبز طيلة النهار .

بأي سياسة يشرد الشعب المسلم من فلسطين على الفور ، بوعد بلفور ، وقلوبه على الظلم تفور ، والعالم الإسلامي بارد جامد هامد ، جاحد شارد خامد ، لا يثور كأنه

مغمور أو مغرور ، أو مسحور ، ويحتل فلسطين اليهود ، إخوان القرود ، بلا حدود ، ولا قيود ، ولا شهود :

لو كنت من مازن لـم بنــوا اللقيطــة مــن
تســـــتبح إبلـــــي ذهــل ابــن شــيبانا
قوم إذا الشــر أبــدى طاروا إليــه زرافــات
ناحـــــذيه لهـــــم ووحـــــــــــدانا

المقـامَــة المكـيّــة

لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المقـامَـــة الـمـدنـيّـــة

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾

أمر على الديار ديــار ... أقبــل ذا الجــدار وذا الجــدارا
ليلـــــــــــى ... الجـــــــــــدارا
وما حب الديار ... ولكن حب من سكن

لما وصلنا المدينة ، والنفس لمن فـي الروضـة مدينـة ، قلت : سلام يا طيبة ، لما رأيناك ذهبت الخيبة . لحبـك أيتهـا الدار ، سـال الـدمع المـدرار ، لمـن نـدخر الشـجون ، لمـن نخبئ الدمع الهتون ، هذا وقت البكاء يا محب ، هـذه لحظـة الشوق يا قلب .

المدينة تنفي خبثها ، وينصع طيبهـا ، ويطمئـن سـاكنها ، ويرتاح حبيبها .

لما رأينا الربع ســال ... شوقاً لسـاكنه ومـن
دموعنـــــــــــا ... يهـــــــــــواهُ
أنا لست أذكر ربع ... لكن أرتـاد ذكر مـن

إذا أتيت طيبـة ، فـأعط قلبـك مـن التـذكر نصـيبه ، هنـا المحراب ، حيث كان يصلي فيه من أنزل عليه الكتاب ، هنا المنبر ، فتذكّر يوم كان يرقاه صاحب الجبين الأزهـر ، هنـا المسجد ، فالشوق يتجدد ، إذا علم أنه مصـلى محمـد ، هنـا الروضة الخضراء ، يرقد بها من جاء بالشريعة الغـراء ، هنـا أُحُد جبل يحبنا ونحبه ، وهنا قباء يؤنسنا قربه ، المدينـة هـي محط موكب النبوة ، وبها كان للإسلام قوة ، منهـا سـطعت شمس السُنّة ، وفيها تمت المنة ، وهي المدينة التي نصرت المختـار ، بسـيوف الأنصـار ، بهـا حكـم الشـيخان ، وولـد السـبطان ، وعـاش السـعدان ، وترعـرع الزيـدان ، وأنشـد الشاعران ، كعب وحسّان .

إذا دخلـت المدينـة فتـذكر صـاحب الملّـة السـمحاء ، والطريقة البيضاء ، هنا مسكنه ومنامه ، وممشـاه وقيـامه ، ورمحه وحسامه ، وشرابه وطعامه .

من المدينة خرج لبـدر بجنـوده ، وزحـف إلـى أحـد فـي حشوده ، ومن المدينة بعث للملوك رسائله ، وعلـم النـاس

فضائله . هي بيت ضيافته ، ودار خلافته ، في كل مكان منها له ذكريات ، وفي كل موضع له علامات .

قبــل القلــب علــى سـفح اللـوى تنشـد الربـع وهـل
واقفــات راجفــات مــاثلات دارس فيــه حلال

المدينـة تـذكرك ببكـاء أبـي بكـر فـي الصـلاة ، وورعـه وتقواه ، لو وضع الصخر على بساطه لكـاد أن يـذوب ، ولـو زجر الشيطان بنصحه لأوشك أن يتوب . جمع الفضائل كأنه يسوقها بعصاه ، وحبُّ له في القلوب فلو أشار للجيش هيـا إلى الموت ما عصاه .

والمدينة تذكرك بالدولة العمرية ، وتلك المناقب الأثرية ، عدل صار في العالم قصة ، وترك في حلق كل جبار غصـة ، وزهد يقول الزهد : لا نستطيع معك صبرا ، وورع يقول لـه القلب : لا نعصي لك أمرا ، عمـر بـن الخطـاب ، سـل عنـه المحراب ، بكاء فيه وتفجّع ، ونحيـب وتوجّـع . وإذا بصـاحب هذه الدموع الآسرة ، يهز بهيبته القياصرة والأكاسرة ، معـه بردة مرقعة ، وحذاء مقطّعة ، ثم تخفق قلوب الملوك على وقع حذائه ، وينام العدل على طرف ردائه .

والمدينـة تـذكرك بالوقفـات الإيمانيـة ، فـي الحشـايا العثمانية ، والمعاهد العفانية ، طهر يغتسـل فـي نهـره مـاء الغمام ، وحياء يصيد بوداعته ورق الحمام ، وسـخاء تضـرب به الأمثال ، وتعجز عن مجاراته الرجال .

والمدينـة تـذكرك بسـيف اللـه المنتضـى ، وعبـده المرتضي ، علـي بـن أبـي طـالب أبـي الحسـن ، الخطيـب اللسن ، ناصر الدين والسنن ، بطل الأبطال حيـدره ، هـازم الكفره ، وصاحب السيرة العطرة .

ما هزني ذكر أشجان وأطلال لكـن هنـا المجـد
أو خيمـة عرضـت أو معهـد بـالي فاكتب بدمعي آهاتي

إذا قـالت رومـا : عنـدنا مـن الملاحـم فصـول ، وقـالت باريس : عندنا ديقول، وقالت لندن : عندنا العالم المأهول ، فإن المدينة تقول : عندنا الرسول .

حـي دار الهجـرة ، وميـدان النصـرة ، وأرض الشـهداء ، وجامعة العلماء . في ثـرى المدينـة سـيد الشـهداء ، حمـزة المقدام ، وغسيل الملائكة الكـرام ، ومـن كلّمـه الرحمـن ، وحفظة القرآن ، وزيد بن ثابت إمام الفرائض ، وحسّان بـن ثابت شاعر الردود والنقائض، وأُبي بن كعب صـاحب الـذكر الحكيم ، وفيها من اهتز له العرش العظيم .

المقامَة المدنيّة

في المدينة ذكرى أبي ذر ، وهو يقول الحق المُر ، يدفع الباطل بزنده ، ويرد الـدنيا بزهـده ، وفيهـا ذكـرى بلال وهـو يرسل صوته في سماء الوحدانية ، وفضاء العبودية ، ومعناه تعالوا إلى ربكم أيها العباد ، وذروا الجاه والأموال والأولاد .

وذكرى أنس بن مالك خادم رسـولنا ، كلمـا قيـل : مـن لهذا العمل ؟ قال : أنا ، فينال بشرف خدمة المعصـوم ، مـا لا يناله أشراف أهل الدنيا لجلالة المخـدوم ، وذكـرى سـعيد بن المسيَّب ، الولي المقرَّب ، ينهل الناس من مورد علمه ، ويعب العباد من نهر فهمه . وذكرى مالك بن أنس ، إذا تربع على كرسي العلم وجلس ، فكـأن مجـد الـدنيا اختصـر فـي تلك الساعة ، يوم تجتمع عظمة العلم وعظمة الطاعة .

وأعظم منقبة للمدينة أن رسول الله ﷺ [illegible]

فصلى الله وسلم على من تشرّفت به تلك الأرض ، صاحب المقام المحمود يوم العرض ، عليه الصلاة والسلام ، ما هب نسيم الأسحار ، وسرى حديث السمار ، عليه الصلاة والسلام ، ما تمتم ماء ، وهبّ هواء ، وشعّ ضياء ، وارتفع سناء ، عليه الصلاة والسلام ، ما حنّ إلف ، وأومأ

طرف ، وما ذرّ شارق ، وما لمع بارق ، ومادام سعد ، ودوى رعد ، وحل وعد ، وحفظ عهد ، عليه الصلاة والسلام ، ما خط قلم ، وزال ألم، ودامت نعم ، وزالت نقم ، وعلى آله وصحبه الكرام ، مادام في الأرض إسلام ، والسلام.

المقـامَــة النجـديّـــة

﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾

((واحرّ قلباه يا نجــد))

نحــن أدرى وقــد أطويـل طريقنـا أم
ســـألنا بنجـــد يطـــــــــــول
وكـــثير مـــن وكـــثير مـــن ردِّم

إذا ذكرنا نجد ، ثار الوجد ، واستجاب المجد ، يا نجد أنتِ مهبـط وحـي العربيّـة ، ومسـقط رأس الشـاعرية ، علـى رحابكِ سفكت دماء المحـبين ، وسـالت دمـوع المعجـبين ، وعلى بساطك وقعت جواهر البيان ، وبسقت لآلي العرفان .

يا نجد أنتِ أرض الحب والغرام ، والعشق والهيام ، في رأسـكِ ذاكـرة الأيـام ، وفـي صـدركِ مفكـرة الأحلام ، هنـا ملاعب طسم وجديس ، ومفـاتن امـرؤ القيـس ، ومعـاطن العيس ، هنا سحر القافية يلعب بالأذهان ، هنا للشعر سـوق ومهرجان ، وللحب روض وبستان ، جـدد التوحيـد فـي نجـد فصار غضّاً طريًّا ، وولد الحب نجديّا ، وعاش الدين بها أبـديّا ، وصار الوفاء بها سرمديّا ، لنجد في قلـبي منـازل وخيـام ، وبيـوت وأعلام ، ولهـا فـي ذاكرتـي صـور وأفلام ، ومشـاهد وأحلام .

يقــول الشــاعر الــدكتور العشــماوي وقــد أشــجاني ، وشعره أبكاني .

يــا عائــض القرنـــي
نجـــداً وإن زار الحجـــاز
قـــالوا قـــدمت إلـــى
ألفـــاً وحيّـــا اللـــه ذاك

يا صاحبي على نجد قفا نبكي ، ومن هواها تعالَ نشتكي ، فــي نجــد أم البنيــن الأربعــة ، وعــامر بــن صعصــعة ، المطعمــون الجفِنــة المدعدعــة ، والضــاربون الهــام يــوم

المعمعة . من نجد انطلق الموحّدون ، وأنشد منها قيس بن ميمون ، وفيها عشق عروة بن حزام والمجنون .

يـــا صـــاحبي قِفـا لـي
وحـــدثاني عـــن نجـــد
هـــل أمطـــرت روضـــة
حمامـــة الـــبين أو غنـــت

فـي نجـد الخزامـى والشـيح ، والـروض الفسـيح ، والشعر الفصيح ، وشذا المسك تذروه الريـح ، نجـد ثلاثـة أحرف نون ، وجيم ، ودال .

فالنون فنون ، وشجون ، وعيون ، وفتون .

والجيم جلال ، وجمال ، وجهاد ، وجلاد .

والـدال فـي نجـد سـنة وكتـاب ، وعلـوم ، وآداب ، وأحسـاب ، وأنسـاب ، ومجـدد الـدعوة محمـد بـن عبـد الوهاب .

جاءتنا حمامة ، من اليمامة ، فأخبرتنا أن مسيلمة ترك إسـلامه ، وعصـى إمـامه ، فخلـع خالـد العمامـة ، وربـط حزامـه ، وسـل حسـامه ، ففصـل مـن مسـيلمة الهامـة ، وقص عظامه . فأهدت نجد المجدد ، والموحد ، والمسدد.

فالمجدد ابن عبد الوهـاب ، جـدد للتوحيـد الشـباب ، وألبســه أحســن الثيــاب ، فجــزاه اللــه أوفــر الثــواب ، **والموحـد** حصـن الهمـة الحريـز ، وشـارح كتـاب المجـد الوجيز ، الملك عبد العزيز ، **والمسدد** الرجـل الممتـاز ، الذي حوى كل فضل وحاز ، عبد العزيز بن باز.

من حنجرة نجد انطلقـت فـي الظهيـرة ، صـرخة ودِّع هريـرة ، ومـن نجـد أقبـل الرجـل المفضـال ، والداعيـة الرحّال ، ثمامة بن أثال . ونجد لا تقبل الرذيل ، ولا تعشق الدخيل ، ولذلك قتلـت العميـل ، عـامر بـن الطفيـل، لأنـه كذب بالتنـزيل .

أقـــول لصـــاحبي ... بِنـــا بَيْـــن المجـــرة
والخيـــل تجـــري ... والضمـــــــــار
تـــزود مـــن شميـــم ... فما بعد العشية من

حيّت دمشقُ نجداً فقال شاعرها ابن الخياط :

خـذا مـن صـبا نجـد فقــد كـــاد ريّاهـــا
أمانـــــاً لقلبـــــه يطيـــــر بلبـــــهِ
ولـولا كـي لا يذيـ[illegible]

وحيّت بغدادُ نجداً فقال شاعرها الشريف الرضي :

يـا صـاحبي قفـا لـي وحـدثاني عـن نجـد
واقضـــيا وطـــراً بأخبـــــــار

وحيّـت القـاهرة نجـداً فقـال أميـر الشـعراء أحمـد شوقي :

جبـل التوبـاد حيـاك وسـقى اللـه زمانـاً
الحيـــــــــا وعـــــــــى

وحيّت صنعاء نجداً فقد قال الأمير الصنعاني ، والعـالم الرباني ، يرحب بإمام التجديد ، للتوحيد :

سلام على نجـدٍ ومـن
وإن كان تسـليمي علـى

وحيّت جبال السروات نجداً فقال الشاعر الخثعمي :

ألا يـا صـبا نجـد مـتى
لقد زادني مسراك وجداً

من نجد هب جيش بكر بـن وائـل الشـجعان ، فهزمـوا صاحب الإيوان ، كسرى أنـو شـروان . وسـوف يهـب مـن نجد بنو تميم ، في جيش عظيم ، لحرب الـدجال الأثيـم ، كما قال الرسول الكريم : (([illegible])) .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المقامَة النجديّة

المقـامَـــة الـسُّـعوديَّـــة

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾

إذا بلـغ الرضـيع لنـا فطامـــــــا ... تخـــر لـــه الجبـــابر ســـــــــاجدينا

السـعودية أرض التوحيـد ، والمجـد التليـد ، والنهـج الرشـيد . وهـي أرض الإنسـان ، والبيـان ، والإيمـان ، والقرآن . لأنها دار الإنسـان السـوي ، والمـؤمن الرضـي ، التـابع للمنهـج المحمـدي . ولأنهـا أرض البيـان الخلاب ، والأدب الجذّاب ، واللغة الحية ، والموهبـة الأدبيـة . ولأنهـا بلاد الإيمان فمنها أرسل الإيمان إلى العالم أنواره ، وبعث إلى الدنيا قصصه وأخباره ولأنهـا مهبـط القـرآن بهـا نـزل جبريل ، على المعلم الجليل ، بآيات التنـزيل .

في هذه البلاد ، أعظم ناد للأجواد ، وأكبر واد للأجواد .

قال الموفق بن هادي : لا تلمني في حب بلادي ، فإنها سر أنسي وإسـعادي ، فقـد بعـث منهـا محمـد المحمـود ، رسـول الجـود ، صـاحب الحـوض المـورود ، والمقـام المحمود ، واللواء المعقـود . وفيهـا ولـد أبـو بكـر ، طيـب الذكر ، صاحب الشكر ، نير الفكر .

ومنها عمر ، جميل الخبر ، وناشر العدل فـي البشـر ، وصاحب أحسن السير .

ومنها عثمان ، جامع القرآن ، ومكـرم الضـيفان ، ولـه من الرسول نوران .

ومنها علي ، البطل الولي ، والسـيف الجلـي ، خـائض الهول حتى ينجلي .

ومنها الأسياد ، والأجواد ، والآساد .

فلما سمعنا كلام الموفـق ، وإذا هـو بالـدليل محقـق ، قلنا : ونسيت البترول ، فإنه السيف المسـلول ، والشـافع المقبول .

قال : كلاّ ، لمن أعرض وتـولّى ، فخرنـا بالرسـول ، لا بالبترول ، وسعادتنا بالذكـر المنـزل ، لا بالديزل ، وفرحتنا بالإسراء والمعراج ، لا بالحديد والزجـاج، وبهجتنـا بالمقـام والبيت ، لا بالزيت ، وتاريخنا بالإعجاز ، والإنجاز ، والامتياز ، لا بالبنـزين والغاز .

المملكة العربيَّة السُّعوديَّة

فقلنا له : اترك من هلكوا وبادوا ، وحدثنا عـن وصـول الرادوا ، ودعنا ممن يهمزون ويلمـزون ، وكلمنـا عـن بـث التلفزيـون ، ومـتى وصـلكم التليفـون ، ومـا كنتـم قبلـه تعرفون ، بل بالجهل توصفون .

فقال : أخطأتم التقدير ، وخطأ العاقـل كـبير ، اعلمـوا أننا قبل الصناعة ، كنا أهل البراعة ، والشجاعة ، والذاكرة اللماعة ، وأهل الأصالة ، والرسالة ، والبسالة .

نحـــن الـــذين روى
ونحـن أعظـم مـن فـي
أمـــا تـــرى الشـــمس
والبدر في نورنا العلوي

كان العالم قبل وصولنا غابة ، كأن عليه جنابة ، وكانت الدنيا قبل ميلادنا في مأتم ، تشكو وتتألم ، فلما بزغ فجـر رســولنا مــن البطحــاء ، أشــرقت علــى نــوره الأرض والسماء ، خيام العدل في بلادنا وولد الشرف مع ميلادنا ، مضرب المثل في الكرم من أوطاننا ، وأشجع النـاس مـن وديانـنا . نحن بعثنـا إلـى الـدنيا النـور ، وأزلنـا منهـا الظلـم والجور ، أذنّا في أذن الدنيا فآمنت ، ومشـينا علـى جبالهـا فتطامنت ، كنا في الجاهلية الجهلاء ، أهل العزة الشـماء ، فلما جاء الإسلام كنا الأعلام ، والصفوة الكـرام ، شـجاعة لو قابلتنا الأسود لهابت ، وعزيمة لو طرحت على الصخور لذابت ، هنا دار الفضـائل ، ومنـازل القبائـل ، عنـدنا قبلـة المصلين ، وكعبة الطائفين ، وملاذ الخائفين ، اختارنا اللــه لدينه أمناء ، وعلى الأمانة أوصياء ، من دارنا هـبّت كتـائب الفتوحـات ، وسـارت قوافـل التضـحيات ، عنـدنا محـبرة ومقبرة ، محبرة لتقييد العلـوم ، وتسـجيل نتـاج الفهـوم ،

ومقبرة للغزاه ، والمحاربين الطغاه ، نحن أول مـن حمـل السيف ، وأكرم الضيف ، وأبى الحيف .

أرضنا بدماء الشهداء تفـوح ، وقلوبنـا بأسـرار التوحيـد تبوح ، عندنا الـذهب الأبيـض والأحمـر والأسـود ، فـالأبيض عِلْم ينعش الأحياء ، من الشريعة السمحاء ، والأحمر دماء في عروق الأحرار ، وفي شرايين الأبرار ، والأسود البترول مدفون في الثرى ، يدلف بالحضارة للمدن والقرى.

اندهش الدهر يوم طالع صفحة جلالنـا ، وهـام الزمـان يوم أبصر لوحة جمالنا ، وتعجب كل جيل يوم قـرأ مكـارم أجيالنا ، وتحطمت جماجم الغزاة على جبالنا .

دافع الله عنا يوم قصدنا صاحب الفيل ، فعاد في ثوب ذليل ، ورد الله عنا غارة الفرس الكفار ، ومزّقهم في يوم ذي قار . وأنزل اللـه نصـره علينـا فـي بـدر ، يـوم صـعب الأمر ، وضاق الصـدر ، فأيـد رسـولنا بملائكـة مسـوِّمين ، وكرام معلميـن ، نحـن خرجنـا للعـالم وفـي قلوبنـا قـرآن نسكبه في قلب مـن وَحّـد وتشـهد ، وفـي أيماننـا سـيوف نقطع بها رأس من تمرد وألحد ، عنـدنا قداسـة الإنسـان ، وقداسة البيان ، وقداسة الزمان ، وقداسة المكان.

فقداسة الإنسان ماثلـة فـي الرسـول العظيـم والنـبي الكريم ، وقداسة البيان قائمـة فـي القـرآن ، الـذي أذهـل الإنس والجـان ، وقداسـة الزمـان ، كامنـة فـي عشـر ذي الحجة ورمضان ، وقداسـة المكـان فـي الحـرم الطـاهر ، والمشـعر الزاهـر . ليـس للزمـان بـدوننا طعـم ، وليـس للتأريخ سوانا رسم ، وليس للناس إذا أغفلنا اسـم ، نحـن شـهداء علـى النـاس ، ونحـن مضـرب المثـل فـي الجـود والبأس . كأن النور ولـد معنـا ، وكـأنّ البشـر لفـظ ونحـن معنى ، جماجمنا بالعزة مدججة ، وخيولنا بالعزائم مسرجة ، نحـن الأمـة الوسـط ، لا غلـط فـي منهجنـا ولا شـطط ، وسط في المكـان فنحـن قلـب الكـرة الأرضـية ، وزعمـاء الأخلاق المرضـيّة ، ووسـط فـي الزمـان فلـم نـأت فـي طفولـة الإنسـانية ولـم نتـأخر إلـى شـيخوخة البشـريّة ، ووسـط فـي العقيـدة فنحـن أهـل التوحيـد والمـذاهب

السديدة ، فلم نعتنـق رهبانيـة النصـارى ، ولـم ننهـج نهـج اليهود الحيارى ، بل أمتنا معصومة مـن الضـلالة ، مصـونة من الجهالة .

نحـن الـذين إذا دعـوا
وألحـرب تسـقي الأرض
جعلـوا الوجـوه إلـى
فـــي مســـمعِ الكـــون

أليـس فـي بلـدنا الركـن والمقـام ، والبلـد الحـرام ، وعندنا عرفات ، ومنى حيث الجمرات وزمـزم والحطيـم ، والمشـعر العظيـم ، وفـي أرضـنا غـار حـراء ، مشـرق الشريعة الغراء، ونزل فـي أرضـنا جبريـل ، علـى المعلـم الجليل ، وحمى بيتنا من الفيل ، بطير أبابيل .

ومنَّا خالد بن الوليـد ، وأسـامة بـن زيـد ، وطلحـة بـن عبيد .

المكتبة الشاملة السُّعودِيَّة

وفي دارنا عائشـة أم المكرُمـات ، المـبرَّأة مـن فـوق سـبع سـموات ، وفاطمـة البتـول ، بنـت الرسـول ، طيبـة الأصـول . وفـي أرضـنا الحرمـان ، والبيتـان ، والعُمَـران ، والهجرتان ، والبيعتان ، والسبطان ، والقـرآن ، والإيمـان ، والبيان .

نحن أهل عذوبة الألفـاظ ، والجهابـذة الحفَّـاظ ، وفـي بلادنا سوق عكاظ .

نحـــن الـــذين علـــى
وقـــف الزمـــان مـــدلها
تيجان عزتنـا النجـوم
غيـــرَ الوفـــاء وصـــارما

في بلادنا البطحاء ، حيث انطلقت الشريعة السمحاء . وعندنا نجد الأبيّة ، مطلع شمس العربية ، ومنبع المـواهب الشاعرية ، والخطابية .

ولدينا عسير ، حيث المسك والعبير ، والجمال منقطع النظير ، والذكاء الشهير .

ولـدينا حائـل ، أهـل الفضـائل ، أحفـاد حـاتم الطـائي شرف القبائل .

ولــدينا الحجــاز ، أهــل الفضــل والامتيــاز ، والكــرم والاعتزاز .

ولدينا الإحساء ، دار الشرفاء ، وبيت الأوفياء .

فغربنـا أرض النبـوة المحمديَّـة ، والسـنة الأحمديّـة ، أرض قــدمت للعــالم أشــرف هديّــة . وشــرقنا أرض الخيـرات ، وبلـد المسـرَّات ، ودار الهبـات ، والأعطيـات . ووسـطنا دار الملـكُ والإمـارة ، وبيـت الجـدارة ، ومحـل الوزارة ، والسفارة . وشمالنا أرض الجود ، والند والعـود ، والأسود ، وحفظ العهود ، وإكـرام الوفـود . وجنوبنـا أرض الهمــم الوثابــة ، والطبيعــة الخلابــة ، والأخلاق الجذَّابــة ، والفهم والنجابة ، والشعر والخطابة .

نحن كتبنا التأريـخ بالـدماء ، ووصـلنا الأرض بالسـماء ، أنجبنا العلماء ، وأنتجنا الحكماء ، وأرسلنا للعالم الزعماء ، وأهدينا الدنيا الحلماء .

إذا لم يبدأ التأريخ بنا فاعلم أنه منكوس ، وإذا لم يثُـنِ علينا سِفر المكارم فاعلم أنـه منحـوس . كسـرنا سـيوفنا في بدر ، علـى رؤوس أهـل الكفـر ، ثـم أرسـلنا شـظاياه لصلاح الدين ، في حطين ، فقهر بها الملحدين . رددنا في أحد " قل هو الله أحد " فسحقنا مـن جحـد وقطعنا دابـر من فسد .

منا قائد القادسـية ، الـذي أسـقط العجـم فـي الخانـة المنسية . ومنـا قائـد اليرمـوك ، الـذي أذهـب مـن رؤوس الروم الشكوك ، وصبغ وجوههم بالدم المسفوك .

ابدأ بنا في رأس كــل

أســماؤنا فــي أصــلها

وإذا كتبــت روايــة

فحــديثنا مــن ضــمنها

نحن أرسلنا بني أمية ، ملوكاً للـديار الشـامية . وبعثنـا لبغداد بني العباس ، أهل الجود والبأس . وجيش العجم ما أسلم ، حتى بعثنا له قتيبة بن مسلم .

ومددنا للهند السيف الحاسم ، محمد بن القاسم .

من كتب التأريخ وأهمل الجزيرة ، فقد ارتكب كـبيرة ، وأتـى بجريـرة ، كيـف يهمـل الرسـول والأصـول ، وأهـل المنقـول والمعقـول . كيـف يأخـذ البـدن بلا روح ، ويجـرد البستان من الدوح . كيف يبني القصر على غيـر أسـاس ؟ ويقيم الجسم بلا رأس .

تريد المسجد بلا محراب ، والمدرسة بلا كتـاب ، نحـن الفصـول والأبـواب ، ونحـن السـيف والنصـاب ، لسـجل المكرمات كُتّاب ، ولأرقـام المجـد حسـاب ، وعلـى قصـر الرسالة حجاب .

نحن قلب المعمـورة ، وأصـحاب المنـاقب المـأثورة ، العالم يتجـه إلـى قبلتنـا كـل يـوم خمـس مـرات ، والـدنيا تنصت لندائنا بالصلوات ، والكون يستمع لتلاوتنـا بالآيـات ، زارنـا بلال بـن ربـاح ، فصـار مـؤذن دولـة الفلاح ، وجاءنـا سلمان من أرض فارس ، فلما أسلم صار كأنه على قـرن الشـمس جـالس ، ووفـد إلينـا صـهيب مـن أرض الـروم ، فأصـبح مـن سـادات القـوم ، مـن بلادنـا تشـرق شـمس المعارف ، ويقام للعلم متاحف ، وتنشر للهدى مصـاحف ، حتى ماؤنا يفوق كل ماء ، فماء زمزم شفاء ، ومن كل داء دواء ، ونحن بيت العرب العرباء ، وعندنا سادات الكرماء ، ولـدينا أسـاطين النجبـاء ، وأسـاتذة الحكمـاء ، إن ذكـرت الحرب فنحن وقودها ، وإن ذكرت الملـة فنحـن أسـودها ، وإذا سمعت بالرسالة فنحن جنودها .

المقـامَـــة الـســراتيّـــة

﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾

كنـــا جبـــالاً فـــي سـرنا علـى مـوج
الجبـــال وربمـــا البحـــار بحـــارا
يعلو الافق بنا قبل الكتائب يفتح

سَلِّمْ على السراة ، وعلى الجنوب مدنه وقراه ، لتكـون مع التأريخ صادقا ، وبالحق ناطقا . في السـراة رجـال تكـاد الأسـود أن تقـول مـن شـجاعتهم رفقـاً يـا نـاس ، ويكـاد السحاب ينادي جبالها لا مساس .

بها ولد أبو هريرة سيد المُحدِّثين ، وهي ديار الخليل بـن أحمد إمام النحويين ، من السـراة سـارت قوافـل الوفـود ، إلى رسول الوجود ، تعاهـد علـى نصـرة الإسـلام ، ومتابعـة الإمـام . منهـا وفـد جريـر سـيد بجيلـه ، صـاحب المواقـف الجليله ، ومنهـا أطـل الطفيـل سـيد دوس ، موقـد الحـرب الضروس .

فـي جبـال السـروات نظـم الشـنفرى الأزدي لاميتـه العصماء . وفي روابيها سجل الخثعمي داليتـه الغـراء . أمـا علمت أنها أرض القرني أويس ، وبلاد أسماء بنت عميس .

السراة حيث خصوبة التراب ، ونـداوة الضـباب ، وهمـع السحاب .

فـي السـراة كـل خطيـب وشـاعر ، لأن الشـعر مـن المشاعر .

كأن الطل بديارهم دموع حبيب ، وكأن الظل بأرضـهم برد قشيب .

أرض إذا طاولت هام قـالت تواضـع أيهـا
جبالهـــــــــا الإنســـــــــانُ
وإذا دخلـت غياضـها غنَّى الحمام وصـفق

فيها مدرسة الحفظ لأن الحفظ هريـري دوسـي ، وهـي إيوان الزهد لأن الزهد أويسي

هنا الشعر الفصيح ، والنسب الصريح ، والوجه المليـح ، خطباء حفَّاظ ، يغار منهم سوق عكاظ ، لروعة تلك الألفاظ ، مع القمـم همـم ، ومـع الشـجاعة كـرم ، لا تنكـر أخلاقهـم البديعـة ، فكمـا قـال ابـن خلـدون : الأخلاق تتبـع الطبيعـة . ذكرهم الهمداني في الإكليل ، فكان قلمه بالثناء يسيل .

بلادهم ديار الجود ، وعرين الأسود ، البخل عندهم ذنــب لا يغفر ، وعدوهم بالثرى يُعفَّر ، أريحيّة يهـتز منهـا النسـيم ، وحاتميــة ينشــأ عليهــا الفطيــم ، مشــاعر جيَّاشــة ، وأرواح هشَّاشة ، ووجوه بشَّاشة ، ماء البِشر في صـفحات الوجـوه يترقرق ، ودم البطولات في شرايين الأبوة يتـدفق ، إصـرار على القيم ، وحفاظ على الشيم .

قلوب حُشيت بالإيمان إلى الأعماق ، فليـس بهـا مكـان للكفر والنفاق .

ما دخلها فيلسـوف ، لأن صـوت القـرآن بهـا يطـوف ، وما حلها زنديق ، لأن أسد الرسالة في الطريق .

إذا كــبر الأزدي فــي رأيــت شـجاعاً سـيداً
حومـــــة الـــــوغى وابـــــن ســـــيدِ
ويطربهـــم وقـــع سـماع لعـود أو غنـاء
الرمــاح فمــا لهــم لمعبـــــــــــــدِ
أ[illegible]

عروبة صريحة صراحة اللبن المذاب ، والسـنة فصـيحة فصاحة الفجر الجذّاب .

هم أعمام حسَّان ، وأخوال سحبان ، وأجداد غسّان .

بديهتهم أسرع من الضوء إذا سرى ، وذاكرتهم أغزر من السيل إذا جرى، ما قطر للإلحاد في ديارهم قطـرة ، لأنهـم على الفطرة .

لو رأى جمال أرضهم كنفشيوس المسكين ، لما نظـم قصيدة مرحباً يا بكّين ، ولو أبصرها جوته شـاعر الألمـان ، لما أنشد إلياذة الحرمان :

فـــالطير يرســـل والغصـــن يعـــزف
للعشـــاق أغنيـــة والأرواح فـي طـرب
في كل يوم لهم عيد فالسحر والشعر بين
بأرضـــــــــهمُ الجـــد واللعـــب

طاب الهـوى ورقَّ الهـواء ، وزان الظـل وعـذب المـاء ، أرض تصـنع بهـا القـوافي ، مـع الـود الصـافي ، والجمـال الضافي .كأن وحي البيان ، أرسل لطيـر البسـتان ، فـالتقى سحر الكلام ، مع نشيد الحمام ، ودمع الغمام :

رفقا بقلبي يا جنوب بشـر وهـذا السـحر
فـــــــــإنني يخلـــب عينـــي
قتـل المحـب بحـور لـو كـان دينـك فـي

ولو عدل صـاحب البوصـلة لوجههـا للجنـوب النفيـس ، وذاك الروض الأنيس ، وترك هضبة مغناطيس .

ولو رأى نـابليون جبـال الجنـوب ووديـانه ، لأراحنـا مـن هيامه بجزيرة هيليانه .

والجنوب لم تدخله الباطنية ، ولا مذهب الظاهرية ، بـل تلك الديار سنيَّة سلفيّة ، وقد رحبوا بـدعوة التوحيـد ، الـتي أطلقها المجدد الفريد ، صاحب النهج السديد ، وتقبلوا لهذه الدعوة بقبول حسن ، وصاروا على أحسن سنن .

وقد ردوا كل نحلة لا تصح ، لأنه نهي أن يـورد الممـرض على المصح ، وعاش أجيالها اليـوم علـى كتـب ابـن تيميـة ، وابن القيم الجوزية ، وكتب مجدد الدعوة السلفية .

وقد آتاهم الله أذهاناً بالبديهة سائلة ، وألسنة بالفصحى قائلة ، ينظم أحدهم الأرجوزة ، في جلسـة وجيـزة ، وينشـأ أحدهم القصيدة ، بموهبة فريدة .

شاركوا في القادسية وقادهم جرير ، وأنزلوا رستم من على السرير ، ما عرض الإسلام على أحدهم إلا أسلم ، ومـا نودي يوم الروع إلا تقدم ، دعا الرسول [illegible] .

[illegible] :

. [illegible]

[illegible]

المقامة السراتيّة

[illegible] .

ومنهم الغساسنة ملوك الشام ، أهل القلم والحسام ، حتى قال حسان :

إن تســـألينا فإنّـــا الأزد نسـبتنا والمـاء

ومنهـم آل المهلـب أسـرة الشـرف والريـادة ، والكـرم والسيادة .

واعلم أن أصول كثير من العلمـاء السـراة ، مـن جبـال السراة . فعبـد الغنـي الأزدي الحـافظ الشـهير ، آبـاؤه مـن السروات بلا نكير ، والطحاوي صـاحب العقيـدة ، مـن تلـك البلاد المجيدة ، بل ذكر الشيخ المنسي في كتابه في تاريـخ الرجـال ، أن مئـات المحـدثين مـن تلـك الجبـال ، واحتفـل النسّابة الجاسر ، بذكر مواطن القـوم والمـآثر ، وطـالع مـا كتبـه عـن رجـالهم الـذهبي فـي السـير ، ومـا سـطره أهـل التاريخ والخبر .

وفيهم ثلاث فضائل ، لم تجتمع في غيرهم من القبائل :

سلامة الصدور ، كماء الطهور ، فليس عندهم ضغائن ، ولا دفائن ، بل غضـب الواحـد فـي لسـانه ، ثـم يعـود إلـى إحسانه .

ومنها ذكاء وقَّاد ، وطبع في الفهم منقاد ، مع غـزارة في القريحة ، وأخلاق مليحة .

ومنها فصاحة وبيان ، كأن علـى طـرف كـل لسـان سحبان ، وعلى شفتي كل شفة حسان . والحمد للـه الـذي سلمهم من برص الاسماعيلية ، وسـرطان النصـيرية ، وداء

البطائحية ، وحمق الصوفية ، وتجهم الجهميـة ، فطريقتهـم محمديّة أحمديّة .

وليـس عنـدهم صـلف الخـوارج المـارقين ، ولا عتـو الروافض المتحرقين ، وليـس للزندقـة عنـدهم قـرار ، ومـا للبدعة ببلدهم دار ، بل هم أهل سكينة ووقار ، كما وصـفهم بـذلك المختـار . ولـم تـدخلهم العجـم الجفـاة ، ولا طيـش الأعـراب الحفـاة ، فهـم أهـل جنـات وعيـون، وأهـل أدب وشجون .

وقد مدحهم الداعية الشهير القرعاوي ، وذكرهم بحسن المساعي ، وإجابة الداعي ، وسطر فيهـم الشـعراء أحسـن قصائدهم ، ودبّج فيهم الخطباء أجود قلائدهم .

وسل أهل العلم ممن زارهم ، وحل دارهم ، فإنه ينقلب إلى أهله مسرورا ، بعد أن ملئـوه حبـورا . ومـا دفعنـي لمـا قلته عصـبية ، أو حميـة مذهبيـة ، بـل كلمـة حـق ، وشهادة صدق ، وقد ذكرت فضائل غيرهـم مـن أهـل البلـدان، ومـا تنقصـت بسـببهم غيرهـم مـن سـكان الأوطـان ، وانظـر الإنصاف والإتحاف في المقامة المكية ، والمقامة النجدية ، واليمنيّـة ، وغيرهـا مـن المقامـات ، وهـذا مـن الاعـتراف بالحسنات .

واعلم أن مئات المؤرِّخين والأدباء ، سبقوني إلى ذكـر مناقب جبـال السـروات الشـمَّاء ، وأهلهـا الكرمـاء ، وقـد نظم لبيد قصيده في تباله ، وحط ابن بطوطة في السراة رحاله ، ولما زارها تأبط شـرا ، مـدحها وقـد تـأبط خيـرا ، وقد قال أحد شعرائها ، ينوِّه بمجد فضائلها .

نحـن وجـه الشـمس نسـب حـر ومجـد
إسـلام وقـوة وفتـوة
نحـن أزد اللـه فـي قد وضعنا الكفر في
يـوم الـردى سـبعين هـوة
وأويـس جـدّنا مـن أو ما تلمح مجداً فـي

المقـامَـــة الـخليجيّـــة

﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

إن كيـــد مطّـــرف نغـدو ونسـري فـي
الإخـــاء فإننـــا إخـــاء تالـــد
أو يختلف ماء الغمام عذب تحدر من غمام
فماؤنـــا واحـــد

كنت في أمر مريج ، حـتى دخلـت الخليـج ، فقلـت أيـن المجالس النديّة ، والأخلاق الودية ، والأماني الوردية ، قالوا في السعودية .

قلت : جاش حبي وفاض ، وليس لي على رسول الحب اعتراض ، فاقضِ ما أنت قاض ، إذا هبطت الرياض .

ولا تلم من حن قلبُه إلى قطر ، وصار دمعه مثل المطر ، فكم للمحبين من غدوة وروحة ، إلى روابي الدوحة .

وسـلم علـى عمـان ، أهـل الشـعر والبيـان ، وإكـرام الضيفان ، وهم يوم الروع شجعان

وسبحان من مرج البحرين يلتقيان ، يخرج منهما اللؤلـؤ والمرجان .

أحرزوا ذروة المجد وسنامه ، ونصبوا خيـام الجـود فـي المنامة .

ودخلنـا أبـا ظـبي فوجـدنا أسـودها تحمـي ظباءهـا ، والحسن قد ملأ سماءها .

فحمى الله الإمارات ، من الغـارات ، فقـد حققـت فـي العلياء انتصارات ، وشيدت للعلم منارات .

كـم مـن محـب يقـول مـن الحـب انكـويت ، فاسـألوا الكـويت ، حماهـا اللـه مـن العـدوان ، وصـانها مـن حسـد الجيران ، ومن غيرة الإخوان .

لي في الجزيرة آمال في نجدنا حيث يسموا
مجنّحـــــــــــــة الشـــعر والخطـــبُ
حـــي الكـــويت فلـــن محفوظـة مـا دهاهـا
ننســـــى مودتهـــا الهـــول والعطـــبُ
وفـي المنامـة سـفر على خدود الهوى مـن
الحـــــب نقـــرؤه حبنـــــا عتـــــبُ
بلـغ عمـان تحيـات أزدية ولها في أرضـنا
مباركـــــــــــة نســـــــــــبُ
وطـف علـى دوحـة تلـك الربـى إن قلـب
الأ[illegible]

فـي الخليـج دمـع يـترقرق ، ومـاء يتـدفق فيهـا ، ذكـاء وامتياز ، وزيت وغاز ، وبنـزين وقاز .

وفي الخليج ضيافة حاتمية ، ودعوة إسـلامية ، وصـحوة عالمية ، تغذيها كتب ابن تيمية . في الخليج مكـة الرسـالة ، ونجد البسالة ، ومنامة الشهامة ، ودوحة الكرامة ، ومسقط الزعامة ، وفي الكويت سل المجد حسامه ، وبلغ العـز فـي أبو ظبي تمامه .

الخليج أرض الأنبيـاء ، ودار الأوليـاء ، وروضـة العلمـاء ، وسرادق الكرماء ، وديوان الشعراء .

من الخليج محمد الرسول الخاتم ، مصلح العالم ، ومنها حاتم المكارم . وخالـد صـاحب العزائـم ، الملحـق بالأعـداء الهزائم .

من الخليج شـعراء المعلقـات ، والملاحـم الشـرقيات ، وتلك المثل الراقيات . وفيها الرجال ، والجمـال ، والمـال ، والسحر الحلال .

فـي الخليـج الشـدة والرخـاء ، والحـدائق والصـحراء ، والجفاف والماء ، والأرض والسـماء ، والـدهماء والعلمـاء . هنا طائرة وبـاخرة ، وحضـارة فـاخرة ، وصـحراء سـاخرة ، ودنيا وآخرة . بيع وشراء وقـرض ، إيـراد وتصـدير وعـرض ، عمار وبناء فـوق الأرض ، وثـروات وخيـرات تحـت الأرض . لحركة التعمير ضجيج ، وللبترول رغاء ونشـيج ، وللبسـاتين عطاء من كل زوج بهيج .

في الخليج يلتقي التاريخ والجغرافيا ، لـترى الحـب فـي ماء الخليج صافيا ، وتقرأ الود في عيون الخليجيين وافيا. لا يكره الخليج إلا حاسدا ، وجاحدا ، أو جامدا .

فالحاسد غلبه هواه ، وحسده أغواه ، وقد خاب مسـعاه .

والجاحد أنكر الجميل ، وأكثر من القال والقيل ، والكثير من الإحسان عنده قليل .

والجامد ، بارد الإحساس ، واهم القياس ، اختلـط عليـه أمر الناس .

في الخليج فصاحة وقافية ، وعين صافية ، وقيم وافية ، وصيدلية شافية ، وكنوز كافيـة . هـاجر العـالم إلـى الخليـج بالملايين ، فالمسلم جـاء يبحـث عـن الـدين ، والجيولـوجي أقبل من أجل التعدين ، والخواجة أتى ينقب عـن البنــزين . جاء الهندي إلى الخليج بالرز ، وجاء الإلماني بالبنــز ، وجـاء الإيطالي بالبز . والكل يطلب العز والكنـز .

في الخليج بئر وبعير ، وأعاصـير ومواصـير . وشـبكات ، وشيكات ، وشركات . وريال ، ورجال ، ودينار ، ودولار .

انبعث البعثي مـن بغـداد ، وقـد لبـس السـواد ، وحمـل السكاكين الحـداد ، فبقـر بطـون الجيـران ، وحطـم بفأسه الجدران ، وأذاق الموت الإخوان ، قيل له لم فعلـت هـذا يـا خّوان .

فقال :

وأحيانا على بكر أخينـا

إذا ما لـم نجـد إلاّ أخانـا

قيل له : بـالأمس كنـت تهـدد إسـرائيل ، وأقسـمت أن ترميها بطير أبابيل ، تحمل المزدوج والكيماوي في براميــل ، فمالك ضللت السبيل ، يا عميل .

فقال : أما سمعت الشاعر الأصيل :

أسد علـي وفـي الحـروب

فتخــاء تنفــر مــن صــفير

ليتنا عن البعثي ما مـدحنا ولا حكينـا . فكـم مـن ظلمـه اشتكينا . ومن قهره بكينا .

وفي المثل : لا تعط المجنـون سكّينا .كيـف تـأمن مـن يقول : آمنت بـالبعث ربـاً لا شـريك لـه ، ويسـتعرض علـى جيرانه هيكله . الـذي يصـلي والمـزدوج فـي جيبِـه ، وينـوي الموت لحبيبه ، ويـوجه الصـاروخ لقريبـه . فلا تثـق بـه ولـو صلى ، فقد أعرض وتـولىَّ، وعـن دينـه تخلـى ، وإلـى النـار تدلىَّ . لو كنت أيها البعثي نسـيب حسـيب ، عريـب لـبيب ، كنت أحرقت تل أبيب . لكنك لمولاك عصـيت ، ومـن الحـق أبيت ، وعن هديه توليت ، ثـم غـزوت الكـويت . لـو زحفـت إلى اليهود ، إخوان القرود ، كانت صفَّقت لـك كـل الوفـود، وأعانتك الجنود ، وخفقت على رأسك البنود ، وأتـاك الـدعم بلا حدود .

المقامَة الخامسة

لكن كتب عليك الشقاء ، فقـاتلت الأشـقّاء ، وحـاربت الأصدقاء ، ليكونوا لك أرقاء ، وتركـت الأعـداء ، البعـداء ، الألداء ، فأنت كمن ترك الدواء ، وتناول الداء .

حزب البعث العربي الاشتراكي . أربع كلمات ، ظالمات ، كاذبات ، خاطئات .

فحزب معناه : تحزيب الأمة إلى دويلات ، وتشتيتها إلى مقاطعات ، وتمزيقها إلى جماعات .

البعث معناه : بعـث الإحـن والأحقـاد ، وتخريـب البلاد ، وتعذيب العباد ، باسم صوت الجماهير من بغداد .

والعربي معناه : بلا عـرب ، وزرع الغضـب ، والقتـال بلا سبب ، فعلى القريب لهب ، ومن العدو هرب .

والاشتراكي : تحويـل المسـلمين ، إلـى عقيـدة لينيـن ، واستالين ، وتوزيع الملايين على البعثيين الملاعين . قـاتلهم الله آمين .

نريد مـن بغـداد ، أن تكـون بغـداد المـأمون والمعتصـم والرشيد، لا بغداد ميشيل عفلق المريد الرعديد .

لما كانت بغداد في العصر العباسي كانت قبلة الوفـود ، وعرين الأسود ، ومشـرق الحـب والسـعود ، فلمـا أصـبحت بغداد في يد البعث الحقـود الحسـود ، صـارت تطلـق علـى الجيران الاسكود ، وغاز الأعصاب حارق الجلود .

أيها الخليجيّون : ليس فخركم أنكم بلـد البـترول ، إنمـا الفخر أنكم بلد الرسول ، فلا تفرحوا لأن الزيت في أرضكم سقط ، لكن افرحوا لأن الوحي في أرضكم هبط .

أيها الخليجيّون : ليس شرفكم زيت دفق ، لكـن الفخـر أن في دياركم رسول صدق ، وبالحق نطق .

العـالم يتجـه إليكـم خمـس مـرات ، ليصـلي إلـى كعبـة المسرات ، لقد صرتم بهـذا الحـرم سـادة العـالمين ، وفـي دنيا الأمجاد مبدعين ، ولأجل عين تكرم ألف عيـن ، فكونـوا إخوة أجمعين ، ولا تطيعوا الشيطان اللعين .

المقـامَــة الـيمـانيَّــة

((الإيمـان والحكمـة يمـانيـة))
((قبـلات على جـبين صنعـاء))

دخلنا صنعاء ، بعد ما قرأنا الدعاء ، فوجـدنا صـالح بـن مقبول ، ينشد ويقول :

نزلنـا علـى قيسيّــة ... لهـــا نســـب فـــي يمنيـّـــــــــة ... الصـــالحين هِجـــانِ
فقالت وأرخت جـانب ... لأيـــة أرض أمْ مـــن الســـــتر بيننـــا ... الـــــــــــرجلانِ
فقلـــت لهـــا : أمـــا ... تميـــم وأمـــا أســـرتي

فقـال أهـل اليمـن : أنـت مـن ؟ قلـت النسـبة أزديـة ، والملّة محمّدية ، قالوا : انزل غير بئيس ، ولا تعيـس ، فـإن منكم القرني أويس ، قلنا كفـاكم قـول مـن جـاء بالشـرائع الإيمانيـة، حيـث يقـول : الإيمـان يمـان ، والحكمـة يمانيـة ، قالوا : صلى الله عليـه وسـلم كلمـا فـاح ورد ، وثـار وجـد ، وتلـي حمـد ، وحـلّ سـعد ، قلنـا كيـف الحـال ؟ يـا معاشـر الأقيـال[1] ، يـا أهـل الخطـب الطـوال ، ويـا أصـحاب البديهـة والارتجال ، ويا رواد الأشعار والأزجال .

ألا أيها الركب ... علّينا فقد أضـحى هوانـا ... نُسـائلكم هـل سـال ... وجب إلينـا بطـن نعمـان

وقد قيلـت فيكـم المدائـح ، الـتي سـالت بهـا القرائـح ، وحفظها عنكم التأريخ ، فوصل بها مجدكم المريخ ، أنسـيتم ما ذكره فـي مـدحكم الهمـداني ، ومـا سـجله فـي مجـدكم صاحب الديباج الخسرواني ، أليـس ينسـب إليكـم السـيف الهندواني ، وسمي باسمكم ركن الـبيت اليمـاني ، وسـهيل أحد النجوم الدواني ، ومنكم محدث العصر الأمير الصنعاني

[1] - الأقيال : اسم لملوك اليمن .

، والعلامــة الربــاني الإمــام الشــوكاني ، وتــاج العلمــاء الكوكباني ، وسـيد الأوليـاء أبـو إدريـس الخـولاني ، وفي الديار العلامـة العمرانـي ، وابـن الـديبع الشـيباني ، وشـيخ الشـيوخ الأريـاني ، والقاضـي أحمـد الحضـراني ، وخطيـب الخطباء البيحـاني ، وأسـتاذ الإعجـاز الزنـداني ، وقـد أثنـى عليكم شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّانـي ، لمـا شـرح حـديث الإيمان يماني ، ومجّدكم ابـن رجـب بـالفقه فـي المعـاني ، وحسبكم مدح الرسول العدناني ، فإنه خصّكم بعلم الحكمة في المثاني ، ومنكم شاعر الرسول صلى الله عليـه وسـلم حسّان ، وملك العـرب النعمـان ، وخطيـب الـدنيا سـحبان ، ومنكم سـيف ذي يـزن فـي غمـدان ، أمـا سـمعت الشـاعر حيث يقول :

ألا لا أحب السـير إلا وِلا الـــــبرق إلا أن

فميّز برقكـم عـن كـل بـرق لأنـه صـدق ، يـأتي بـالغيث والودق ، وذكر امرؤ القيس التاجر اليمني في لاميته فقال :

فـــألقى بصـــحراء كفعـل اليمـاني ذي

منكـم الأوس والخـزرج ، والملكـان الحـارث والأعـرج ، وعمـر بـن معـد يكـرب المقـدام المدجـج ، ومنكـم الملكـة بلقيس ، وأسماء بنت عميـس ، وأبـو موسـى عبـد اللـه بـن قيـس ، وعلـى ألسـنتكم تسـيل القـوافي ، وفـي ضـيافتكم تشبع العوافي ، بديهتكم سريعة ، وذاكرتكم بديعـة ، وفيكـم الفصـاحة والصـباحة ، والسـماحة والملاحـة ، ودعـا لكـم المعصوم فقال : اللهم بارك لنا في يمننا ، وأقـول : ووفـق أهل صنعانا وعدننا .

قال الزبيري في قصيدة الوطن ، يخاطب اليمن :

مزقيني يـا ريـح ثـم أشـلاء جسـمي فـي
وزعينـــي علـــى بيـــن الحقـــول
وصـــلي جيرتـــي وقصّي عليهمـوا مـا
هـل بكـاني هزارهـا طيرها هل شجاه ما
ليـت للـروض مقلـة يبكيه مثلمـا أبكـاني

وقد ذكر الذهبي في النبلاء ، في سيرة همـام بـن منبـه أحد العلماء ، أن رجلاً من قريش ، صاحب سفاهة وخلاعة قال لأحد أهل اليمن ، وكان اليمني ثقة مـؤتمن : مـا فعلـت عجوزكم قال : عجوزنا بلقيس أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، وعجوزكم يا قرشي حمَّالة الحطب دخلـت النـار مع الـداخلين ، فغلـب القرشـي وأفحمـه ، وفـي كـل كـرب أقحمـه . والمتنـبي شـاعر المعـاني ، أثنـى علـى السـيف اليماني ، فقال في نونية رائعة ، وفي قصيدة ذائعة :

برغم شبيبٍ فارق

وكانـــــا علـــــى العلات

كـأن رقـابِ النـاس

رفيقـــك قيســـيٌّ وأنـــت

وذكروني بشاعر معاصر وإليه ردوني ، أعني به شاعركم عبد الله البردوني ، حيث يقول مخاطباً الرسول ﷺ :

نحن اليمانين يا طه

إلى روابي العلا أرواح

إذا تذكرت عماراً

فافخر بنا أننا أحفاد عمارِ

وقد رفعتم رؤوس العرب ، لما انتصر سيف بن ذي يزن وغلب ، علـى أبرهـة حامـل الكـذب ، فزارتكـم الوفـود بمـا فيهم عبد المطلب ، فأشاد بكم أميـة بـن أبـي الصـلت فـي لامية عصماء ، أبهى من نجوم السماء يقول :

اجلـس برفـق عليـك بقصـــر غمـــدان دار

التـــــاج مرتفعـــــاً منـــــــــك محلالا

تـ ـك الملـ ـوك لـ ـم لا يشـ ـبهـ ـك فعلا وَنَدْ ـ

وأطعتم معاذ بن جبل ، ورفعتمـوه فـي المحـل الأجـل ، ونصرتم علي بن أبي طالب ، صاحب المناقب والمـواهب ، فقال :

ولو كنت بوابًـا علـى لقلـــت لهمـــدان

وقتلتـم الكـذاب الأسـود العنسـي ، فصـار فـي التأريـخ المنسـي ، ومنكـم المقـدام يـوم القادسـية ، الـذي سـحق الجموع الفارسية ، ومنكم الشاعر وصّاح ، الذي هزّ بشعره الأرواح ، وأنتم أرق الأمـة قلوبـاً ، وأقلهـا عيوبـاً وأطهرهـا جنوباً ، وفيكم سكينة ووقار ، وفقه واعتبار ، ومنكـم أوليـاء وأبرار ، وكفاكم أن منكم الأنصار ، مع تواضع فيكم وانكسار ، ومنكم مؤلف الأزهـار ، وصـاحب السـيل الجـرَّار ، ومدبـج الغطمطم التيّار ، ومنكم المحقق الشهير ، والمجتهد الكبير ، أعني ابن الوزير ، صـاحب العواصـم والقواصـم والـروض الباسم ، خطيبكم إذا تكلم بز الخطبـاء ، وأسـرها وسـحرها فإما منّاً بعد وإما فداء ، وشاعركم إذا حضر غلب الشعراء ، وصارت أفئدتهم من الذهول هواء ، الضاد بأرضكم ميلادها ، والعروبة عندكم أولادها ، والحميريّة أنتم أحفادها ، أما قـال الشاعر :

يمنيـّـون غيـــر أنّـا قـــد وطئنـــا تيجـــان
حفـــــــــــاة كســـــرى وقيصـــــرْ

عندكم الجبـال ، والجمـال ، والسـحر الحلال ، والبلاغـة في الأقوال ، مع سلامة صدور ، وبعد عـن الكـبر والغـرور ، وخفة أرواح ، ودعابة ومزاح ، وقدرة على الحفـظ ، وسـبك اللفـظ ، وجـودة خـاطر ، بكـل لذيـذ عـاطر ، مـع بسـمة وبشاشة ، ونفوس بالحب جيّاشة ، عانقت جبالكم السحاب ، واحتضن شجركم الضباب ، وقبل ريحانكم الـتراب ونـادت غدرانكم : اركض برجلك هذا مغتسل بـارد وشـراب ، كـأن بُنَّكـم إذا مـزج بالهيـل ، وخلـط بالزنجبيـل ، فيـض مـن السلسبيل ، كـأنه يقـول للشـاربين ، جئتكـم مـن سـبإٍ بنبـإٍ يقيـن ، وبأرضـكم الأقحـوان ، يضـاحك الريحـان ، وبلبـلٌ البستان ، كأنه يتكلم بلسان ، فـي كـل صـباح يصـيح ، كـأنه خطيب فصيح ، من دخل روضكم ظن أنه في إيوان كسرى، يسري به النسيم فسبحان من أسرى :

أرض ثراهـــا لؤلـــؤ مسك وطينة أرضـها
وترابهـــــــــا مـــــــن عنـــــــبرِ
يتلـو بهـا القمـري والطيـر من مسبح

طَلْع الزهر بها كأنه جُمان ، ولو سار بأرضها سليمان ، لسار بترجمان ، تباكرها الصبا الشمالية ، لا شرقية ولا غربية ، فيا أنصار الرسالة في قديم الزمان ، أنتم أنصارها الآن ، فعضوا على التوحيد بالنواجذ ، فأنتم الأبطال الجهابذ ، وانصروا سنة المختار ، في تلك الديار، وانهجوا نهج السلف ، فإنكم نعم الخلف ، وارفعوا للملة العلم، فمن يشابه أَبَهُ فما ظلم ، ففيكم علماء وعباد ، ولكم نوافل وأوراد ، وتديُّنكُم سريع ، وفهمكم بديع ، وقد قلتُ في صنعاء ، من قصيدة لي تحمل الحب والوفاء .

صـــنعاءَ صـــغنا لـــكِ
لَـكِ الوفـاء فلا تبـدي لنـا
علـى جفونـكِ قتلـى
حـتى الـذين بقـوا قتلـى
روايـــة الســـحر فـــي
والحســـن فـــي وجهـــكِ
ليـــت الهـــوى تـــرك
فهو الذي رد بالألحـاظ مـا
إن كنـــتِ تبكيـــن يـــا
فقد سكبنا عليـكِ الغيـث
اسـتغفري أنـتِ ممـا
هذا الجمال اليماني يقتل

ولما تقدم الجيش البريطاني ، يريد احتلال أوطاني ، في بلد جيراني وإخواني ، صاح الشاعر الأرياني ، في الشعب اليماني ، مخاطباً جيش الغزاة الذي خدعته الأماني :

يـا بريطانيـا رويـداً إن بطش الإله كـان
رويـــــــــــدا شديـــــــــــدا
إن بطـــش الإلـــه ن وعاداً من قبلكـم
أهلـــك فرعـــو وثمـــــــــودا
لا تظنـــوا هـــدم عزمنا أو يلين بأساً
المـــدائن يـــودي صليـــــــــدا
إن تبيـــدوا مـــن تكـم مـا غـدا لـدنيا
الـــبيوت بطيـــارا مشيـــــــــدا
فلنـا فـي الجبـال نحتتها أجـدادنا لـن
تلـــك بيـــوت تبيـــــــــدا
فالنـ ا ـ النـ ا ـ ان لـــدي الحـــرب لا

المقامَة اليمانيَّة

كذبت والإله ما كـان نملأ الأرض والسماء
حـــــــتى جنـــــــودا
بعد أن تسفك الدماء وتـــروي سهولهـــا
علـــــى الأرض والنجـــــودا
ما خضعنا للترك مـع الـدين منـا فكيـف
قربهـــم فـــي نرضـــى البعيـــدا
وهـــم فـــي الأنـــام فاســـألوهم قـــد
أشـــجع جيـــش صـــادفونا أســـودا
يا بني قومنا سـراعاً فقد فاز من يمـوت

سلام على شوكان ، ورحمة الله على إريان ، وبركـاته على كوكبان ، ومغفرة على عمران وتحيـاته علـى خـولان وفضـله علـى همـدان . لأن التفسـير الصـحيح شـوكاني ، والشـعر المليـح إريـاني ، والخطـاب الفصـيح كوكبـاني . والعقل الرجيح عمراني ، والوجه الصبيح خولاني ، والكـف السميح همداني .

وصرف الله النقم ، عن جبل نُقم ، لأنـه أنتـج لنـا ابـن الوزير ، صاحب التحبير والتحرير .

شكراً لتلك الأرض لـو
تســـقى بهـــا الأوطـــان

اليمـن مشـتق مـن الإيمـان لأنهـم صـدّقوا بالرسـالة ، وأظهـروا البسـالة ، وأكرمـوا رسـول الرسـول ، وقـابلوه بالقبول ، وجمعوا بين المعقول والمنقول .

واليمن مشتق من اليُمْـن لأنـه كـان ميمونـاً بجنـوده ، معيناً بحشوده .

واليمن مشتق من الأمانة لأن أهلها رجاله فـدوا الملـة بالنفوس ، وقدموا للشريعة الرؤوس :

أمــة أمهــرت المجــد

بــذلت للــدعوة الكــبرى

المقامَة اليمانيَّة

واليمن مشتق من اليمين ، فهم ميمنة كتائب الجهاد ، ساعة الجلاد ، بالسيوف الحداد :

علي الميـامن تلقانـا

بعنا من الله أرواحاً وأبدانا

إذا رأيت من ينتقص اليمن فاعلم أنه يستحق التوبيخ ، لأنه يجهل أبجديّات التأريخ .

روى الطـبراني ، عـن الرسـول العـدناني ، فـي مـدح المدد اليماني : إن نفس[2] ربكـم مـن اليمـن ، لأنهـم أهـل نجدة وفطن . اليمن بلد **الأقيال ، والجبال ، والجمال ، والجلال** .

فالأقيال : طردوا الأحـابيش ، وهزمـوا كـل جيـش . **والجبال :** صـدّت الغـزاة المحـاربين ، ودمّـرت الإنجليـز الكاذبين . **والجمال :** رسـائل سـحر مـن الطبيعـة ، فـي حجاب الشريعة . **والجلال :** إيمان في قـوة ، وعلـم مـع فتوّة . تعانَق في اليمن التأريـخ والجغرافيـا ، عناقـاً كافيـاً شافيا ، وتصافح بها الفقه والحديث ، والقديم والحديث .

إذا سال على حدائق الأزهـار ، السـيل الجـرار ، ظهـر لك أهل التقليـد وحملـة الآثـار ، وإذا أردت الـدليل ، علـى فضل هذا البلد الجليل ، فعليك بالإكليل .

---

[2] - معناه الفَرَج من الله بعد الشدّة .

واعلم أنني ما أسرفت في المديح بـل قصـرت ، ومـا طولت في الثناء بل اختصرت ، وكفـى لأهـل اليمـن مـدح المصطفى ، وإنما أردنا أن نكتب في ديوان الوفاء ، وفـي سجل الصفاء ،، وقد قال الشاعر يفتخر بكم :

نحن وجه الشـمس نسـب حـر ومجـد
كُـــرِبُ عمّـــي وهَبـوا لـي المجـد
والسـيوف البـيض يـوم ضـرب الهـام

يا صنعاء نريد منك جيلاً ربانياً ، وشباباً محمديّاً ، وعزماً يمانياً ، وشكراً يا عدن ، على ترحابك بأتباع النبي الأمين ، وطـردك لعبيـد لينيـن ، واذنـاب اسـتالين ، لأن العـزة للـه ولرسوله وللمؤمنين .

المقامَة اليمانيّة

سلِّم علـى الـدار مـن
وانظـر إلـى الـروض مـن
يا لوحة نسـخت فيهـا
قلـبي بروعـة هـذا الوجـد

وما كتبت هذه المقامة ، حتى طالعت كتب القوم فـي الجبال وتهامة ، فقـرأت كتـب ابـن الـوزير ، وكتـاب ريـاح التغيير ، وسـامرت كـل مرجـع ، وراجعـت تأريـخ الأكـوع ، ورافقت كتاب البدر الطالع ، فإذا هـو جـامع مـانع ، وألّـف أحد المستشرقين كتاب اليمن من البـاب الخلفـي ، وفيـه ما يكفي ويشفي ، وقد نظم الشعراء في اليمن إليـاذات ، وكتبت على القلوب من حبها أبيات ، ولهم في هذا القطـر مؤلفـات ومصـنفات ، ومـن لطـف أهـل اليمـن تسـميتهم لشجرة البن لأن فيها بناء مودات .

وتسـميتهم القـات ، لأنهـا تـذهب الأوقـات ، وتأكـل الأقوات .

واليمن مورد عذب ، وميدان رحب ، فـالقومي بـاليمن يفخر ، لأنها بلد الجد حمير ، والمـؤرخ يتشـجع ، لأنـه عـثر على موطن تبع ، وصاحب الآثار له من اليمن أمــداد ، لأن

فيها إرم ذات العمـاد ، الـتي لـم يخلـق مثلهـا فـي البلاد ، وحملة القرآن ، لهم ميل إلى تلـك الأوطـان ، لأن الإيمـان يمــانِ ، فــاحفظ أخبــارهم ، وردد أشــعارهم ، واكتــب إنشاءهم ، ولا تبخس الناس أشياءهم .

واعلم أن اليمن أهـدت لسـليمان بلقيـس بالكرسـي ، وقتلت الأسود العنسي ، وألبست العروبة المنـن ، بسـيف ذي يزن ، حـتى زاره عبـد المطلـب ، نيابـة عـن العـرب ، فبشره بالنبي المرتقب ، وأعلى منـزله كما يجب .

وألفـت اليمـن فـي الأصـول ، إرشـاد الفحـول ، وفـي التفسير ، فتح القدير ، وفي سـنة أبـي القاسـم ، الـروض الباسم ، وفي فـن الطلـب ، نيـل الأرب ، وفـي الأحكـام ، سـبل السـلام، وفـي فقـه الآثـار ، نيـل الأوطـار ، وتـاج العروس أصله من زبيد ، وعندهم كل عالم مفيد ، وشاعر مجيد . وقد أغنـاهم اللـه بالحـديث عـن فلسـفة اليونـان ، وبالفقه عن كلام مبتدعة خراسان ، وبالتفسير عن خيالات فارس وملكهم ساسان ، وهم مـن أكـثر العبـاد خشـوعاً ، ومن أغزرهم دموعـاً ، وليسـوا بعبـاد درهـم ، وليـس مـن أرضهم الجعد بن درهـم ، ولـم يـدخل ديـارهم الجهـم بـن صفوان ، بـل أهـدوا للسـنة طـاووس بـن كيسـان ، وكـان العلم يطلب من أوطانهم سنينا ، وقد سلموا من غلطــات الفارابي وابن سينا .

وللــه تــاريخهم مــا أحسـنه ، لأن هنــاك ليـن القلـوب وصدق الألسنة ، وشجرة مجدهم لا تنبـت إلا علـى الأنهـار الشرعية ، ولذلك اجتثوا من بلادهـم جرثومـة الشـيوعية ، لأنهم موحدون لا ملحدون ، فهم بلد الإيمـان والإنفـاق ، لا بلد الرفاق والنفاق ، فيا حمام بلغهـم منـا السـلام ، وقـل إلى الأمام ، والصـلاة والسـلام علـى صـفوة الأنـام ، وآلـه وصحبه الكرام .

وقبل الوداع ، أطرق الاسماع بمقطوعة فاتنـة وأبيـات سـاخنة لشـاعركم محمـد محمـود الزبيـري يخـاطب فيهـا اليمن يقول :

الشـــاعرية فـــي أنت الذي سويتها
مـألي بهـا جهـد ونشـــرتها بيـــن
أنت الذي بسـناك وكتبتهـــا فـــي
أبعدتني عـن امـة العـــالي فلـــو
ما قال قـومي آه وصهرت أحشـائي
عـــــــــذبتني إلنـاس هـذى آيـة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتُه

المقـامَــة المصريّـــة

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾

يـا مصـر كـل حـديث نسيته عند أهل التل
كنـــــت أحفظـــــه والـــــــــــــدارِ
جـرت دمـوعي علـى يا مصـر كـل الهـوى

يا مصر ، أنـتِ كوكبـة العصـر ، وكتيبـة النصـر ، وإيـوان القصـر ، أنـتِ أم الحضـارة ، ورائـدة المهـارة ، ومنطلـق الجدارة ، وبيت الإمارة ، ومقر السفارة ، ومهبط الوزارة .

من أين نبدأ يا مصر الكلام ، وكيف نلقي عليكِ السلام ، قبـل وقفـة الاحـترام ، لأن فـي عينيـكِ الأيـام ، والأعلام ، والأقلام ، والأعوام .

يا مصر أنتِ صاحبة القبول والجاه ، كم مـن قلـب فيـكِ شجاه ما شجاه ، ونحن جئنا ببضاعة مزجاة .

سـارت إلـى مصـر
وهـلَّ دمعـي فصـرت
وفـــي ضلوعـــي
ومصـــر غايـــة آمـــالي

يا ركب المحبين أينما حللتم وارتحلتم ، وذهبتم وأقبلتـم ، اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم . يا أرض العز ، يـا قـاهرة المعز ، يا بلاد العِلم والقطن والبز .

سلام عليكِ يـا أرض النيـل ، ويـا أم الجيـل ، الحـب لـكِ أرض والجمال سقف ، والمجد لكِ وقـف ، ويـا داخـل مصـر منك ألف ، ما أحسن الجفن والجيد والكف ، التقـى الطيـب والكافور فـي مصـر ، لمـا التقـى أبـو الطيـب وكـافور فـي القصـر ، قبـل أن يـدخل جـوهر الصـقلي مصـر كـان عبـداً مملوكاً ، فلما دخلها صار يحكم ملوكاً .

أرضٍ إذا مـــا جئتهـــا

في محنة ردتك شهمـاً

المقامَة الرابعة

وإذا دهاك الهم قبّل

فـــدخلتها صـــافحتٍ

قـل للأخيـار المكرميـن ، الوافـدين إليهـا مغرميـن ، والقـادمين عليهـا مسـلمين ، ادخلـوا مصـر إن شـاء اللـه آمنين .

فــي مصــر تعــانقت القلــوب ، وتصــافح المحــب والمحبــوب ، والتقــى يوســف بيعقــوب ، فصــفق الــدهر ليوسف منشداً ، وغنى الزمان له مغرّداً ، وخروا له سجداً .

في مصر ترعرع الشعر ، وسال القلم البليغ بالسحر ، فكان الفضاء لكتاب مصـر صـفحة بيضـاء ، يكتـب كـل مـا يشاء ، فصارت العقول فـي ذهـول ، مـن روعـة المنقـول والمعقول ، وأذعنت القلوب في قبـول ، ترحـب بالشـاعر المصقع ، والقلم المبدع ، والرأي المقنع .

دخلنـــا مصـــــر وكـــــــل الأرض

والأشــواق تتلــى أنســـام وطـــلُ

في مصـر القافيـة السـائرة ، والجملـة السـاحرة ، والمقالة الآسرة ، والفكرة العاطرة ، عـالم مـن الجنـود ، والبنود ، والوفود .

دنيــا للقــادة ، والســادة أهــل الإفــادة ، والإجــادة ، والرفــادة ، ديــوان للكتــاب ، والحســاب ، والأصــحاب ، والأحباب .

محــراب للعبــاد ، والزهــاد ، والأمجــاد ، والــرواد ، علمـاء ،وحكمـاء ، وكرمـاء ، وحلمـاء وشـعراء ، وأدبـاء ، وأطباء ، وخطباء ، ونجباء ، وأذكيـاء ، وأوليـاء ، وأصـفياء ، وأوفياء .

هنا الدهر يكتب من ذكرياته فنوناً ، هنا التأريخ يبث من صدره شجوناً ، هنا الجمال يسكب من إنائه فنوناً ، هنا خطا الزمان تتسارع ، والحضارات تتصارع ، والأهرام تقص علينا خبر الأيام ، وأحاديث الأقوام ، وما فعلته الأعوام :

أين الذي الهَرَمان ما يومه ما ذِكْره ما
من بنيانه المصرعُ
تتخل في الآثار عن

المقامَة المصرية

هنا سحق الطغيان ، ومزق جنود الشيطان ، ودمر فرعون وهامان ، وأحرقت وثيقة الزور والبهتان ، وارتفعت ملة الرحمان .

هنا عمرو بن العاص ، رحب به العوام والخواص ، وفر الظلم في قدومه وغاص ، هنا تكتب الدموع على الخدود رسائل الأموات إلى الأحياء ، وخطاب الأرض المفتوح إلى السماء ، وهنا تلتقي الظلماء والضياء ، والظمأ والماء ، والصفاء والوفاء ، ويتعانق الضحك والبكاء ، والفراق واللقاء ، لتصبح الحياة في مصر مهرجاناً لآلاف الصور والمشاهد ، والذكريات مساجد ، ومعابد ، ومعاهد ، وجامعات ، وكليات ، وشركات ، وأمسيات ، ومحاضرات ، وندوات ، ولقاءات ، ومحاورات ، ومعاهدات .

إدار هـــي الأرض إلا
فيها الزمان وفيها
تجمّع الدهر في
والغيث داعبها والنهر

صباح الخير يا أرض الكنانة ، وناصرة الديانة ، وحاملة التأريخ بأمانة ، وحافظة عهد الإسلام في صيانة ، وراعية الجمال في رزانة . أدب خلاّب ، وجمال سلاّب ، وسحر جذّاب ، وذكاء وثّاب ، وظل مستطاب ، وأمانٍ عذاب ، نهر يتدفّق ، وحسن يترقّق ، ودموع تترقرق ، وزهور تتفتق ، وأكمام تتشقق ، ومقاصد تتحقق ، وجد الإسلام فيكم يا أهل مصر أعيادَه ، كنتم يوم الفتوح أجناده ،

وكنتـم مـدده عـام الرمـادة ، وأحرقتـم العـدوان الثلاثـي وأسياده ، وحطمتم خط بارليف وعتاده ، وكنتم يوم العبور آساده وقـواده . فتفضـلوا الشـكر والإشـادة ، وخـذوا مـن القلب حبه ووداده :

ثمـــن المجـــد دم فاســـألوا كيـــف

منكم أمير الشعراء ، وكبير البلغاء ، وشيخ الفصـحاء ، وسيد الخطباء ، وأسـتاذ النجبـاء ، وأكـبر الأطبـاء . يسـلك العقل في مصر سبيله ، ويحفـظ الفـؤاد مـن مصـر نيله ، وتعيد الذاكرة في مصر قصة ألف ليلة وليلة .

في مصر لطف الهواء ، وطيب الغذاء ، ونفـع الدواء ، وصفاء الماء .

النيـل مـائي وفـي يشـجي مـن الحـب
أرض الكنانـــة مـــا والأشـــواق تـــزدان
فيهـــا الحضـــارة علم وفهم وإســـلام

سـلام علـى مصـر فـي الآخريـن ، لأنهـا كـانت خزانـة المسلمين ، ومـدد المجاهـدين ، وسـلة الخـبز للجـائعين ، ومقبرة المستعمرين ، أهلك الله أعداءها ثم قال :

المقـامَـــة الـدمشـقيـــة

((ودمـع لا يكفكـف يـا دمـشـق))

قمر دمشقي يسافر وســـنابل وخمائـــل
فـــــي دمـــــي وقبـــــــــاب
الحـــب يبـــدؤ مـــن عشـــقوا الجمـــال
دمشـــــق فـــأهله وذوبـــوه وذابـــوا
والمـــاء يبـــدؤ مـــن أسْنَدتَ رأسك جدول

السلامُ عليك يـا أرض شـيخ الإسـلام ، ورحمـة الملـك العلاَّم ، أيها الحضور الكرام ، في دمشق الشام .

يا دمشـق مـاذا تكتـب الأقلام ، وكيـف يرتـب الكلام ، وماذا نقول في البداية والختام.

في دمشق الذكريات العلمية ، والوقفـات الإسـلامية ، والمآثر الأمويّة . وفيها يرقد ابن تيمية ، وابن قيم الجوزيـة . وفــي دمشــق حلقــات الحنفيــة والمالكيــة والشــافعية والحنبلية .

يحق لحسان أن ينـوح علـى تلـك الأوطـان ، ويسـكب عليها الأشجان .

للـــــه در عصـــــابة يومـــاً يحلـــق فـــي
نـــــــــــادمتهم الزمـــــــــان الأول
أبناء جفنة حول قبر قـــبر ابـــن ماريـــة

تذكرك دمشق بمعاوية بن أبي سـفيان ، وعبـد الملـك بن مروان ، وبني غسـان ، والشـعر والبيـان ، والمجـالس الحسان . دمشق سماء زرقاء ، وروضة خضراء ، وقصيدة عصماء ، وظـل ومـاء ، وعلـو وسـناء ، وهمـة شـماء . مـا أبقى لنا الشوق بقية ، لما سمعنا تلك القصيدة الشـوقية ، في الروابي الدمشقية .

سلام من صبا بـردى ودمـع لا يكفكـف يـا أرق
دمشـــــــــــــق
ومعـــذرة اليراعـــة جلال الـــرزء عـــن
والقـــــــــوافي وصـــــف يـــدق

فــي دمشــق أكبــاد تخفــق ، وأوراق تصــفق ، ونهــر يتدفق ، ودمع يترقرق ، وزهر يتشقق

دخلنــا دمشــق فــاتحين ، وصــعدنا رباهــا مســبحين . فدمشـق فـي ضـمائرنا كـل حيـن . وهـي غنيـة عـن مـدح المادحين . ولا يضرها قدح القادحين .

آه يا دمشق كم في ثراك من عابـد ، كـم فـي جوفـك من زاهد ، كم في بطنك من مجاهد ، كم في حشـاك مـن ساجد . أنت يا دمشق سفر خلود ، وبيت جود ، منك تهـب الجنــود ، وتحمــل البنــود . يصــنع علــى ثــراك الأحــرار ، ويسحق على ترابك الاستعمار ، ويحبك يا دمشق الأخيار . فأنت نعم الدار . تقطـع إليـك مـن القلـوب التـذاكر ، مـن زارك عاد وهو شاكر ، ولأيامـك ذاكـر ، يكفيـك تاريـخ ابـن عساكر ، صانك الله من كل كافر

ألقيــت فــوق ثــراك فيــا دمشــق لمــاذا
الطـــاهر الهـــدبا نكـــــثر العتبـــــا
دِمشـــق يـــا كنـــز أشــكو العروبــة أم

في دمشـق روضـة العلمـاء ، وزهـد الأوليـاء ، وسـحر الشعراء ، وحكمة أبي الدرداء ، وجفان الكرماء .

في دمشـق عمـر بـن عبـد العزيـز الخليفـة الراشـد ، والملك الزاهد ، والولي العابد ، يطارد الظلم والظالمين ، ويحارب الإثم والآثمين ، فيذكر الناس بالخلفاء الراشدين ، ويعيد للإسلام جمـاله فـي عيـون النـاظرين . فـي دمشـق براعة ابن كثير ، وعبقريـة ابـن الأثيـر ، وتحقيـق النـووي ، وفطنة ابن عبد القوي .

لولا دمشق لما كانت ولا زهـــت ببنـــي
بلنســـــــــية العبـــاس بغـــدان
أتــى يصــفق يلقانــا كمـــا تلقـــاك دون

يكفيك أيها الشام السـعيد ، أن فيـك القائـد الفريـد ، والبطل السديد ، خالـد بـن الوليـد . سـيف اللـه الهمـام ، كاسر كل حسام ، أغمد في الشام ، السـلام عليـك يـا أبـا سليمان ، يا قائد كتيبة الإيمان ، ويا رمز كتيبة الرحمن .

يـــا ابـــن الوليـــد فـــإن أســيافنا قــد
الأســـيف تناولنـــا أصـــبحت خشبا
لا تخبروه رجـاءً عـن فيمتلـئ قــبره مـن

صحح الألباني ، المحدث الرباني ، أحـاديث فـي فضـل تلك المغاني .

وأول أبيات في الأغاني ، لأبي الفرج الأصـبهاني . فـي وصف دمشق وتلك المباني .

حيث يقول الشاعر :

القصـــــر والـــــبئر أشـهى إلـى النفـس

وقد نسى ابن كثير نفسه ، وملأ بالمدح طرسـه ، لمـا تحدث عن دمشق ، فقلمه بالثناء سبق ، وبالإطراء دفـق ، وحار الحكماء في وصف دمشق وطيـب هوائهـا ، وعذوبـة مائها ، واعتدال أجوائها ، وذكاء علمائها ، وبلاغة خطبائها ، وتقدم شعرائها ، وعدل أمرائها ، وجمال نسائها ، حـتى إن بعض العلماء ذكر أن دمشق أم البلدان ، وأنهـا فـي الـدنيا جنة الجنان .

دمشــق الشــام كــل يقصر عنـك يـا نـون
حـــــديث ركـــــب العيـــــــــــونِ
كأنــك جنــة عرضــت أثــرت علــى هــوى

دخل دمشق الصـحابة ، كـأنهم وبـل سـحابة ، أو أسـد غابة ، فلقيتهم بالأحضان ، وفرشت لهم الأجفان ، فعاشوا علـى روابيهـا كالتيجـان . فـي دمشـق فنـون وشـجون ، وعيون ومتون ، وسهول وحزون ، وتين وزيتـون . دمشـق جديدة كل يوم ، وهي حسناء في أعين القوم ، وقـد بكـى من فراقها ملك الروم . إذا دخلت دمشـق تتمايـل أمامـك السـنابل ، وتـتراقص فـي ناظريـك الخمائـل . وتصـفق لقـدومك الجـداول ، وترحـب بطلعتـك القبائـل . دمشـق أعيادهـا يـوميّه ، وأعلامهـا أمويّـة ، وأطيافهـا سـماوية ، وبسيوف أهلها محميّة

دمشق في الحسن مفرطة ، وبجواهر الجمال مقرطة ، وفي الطقس متوسطة .

فارقتهـــا وطيـــور بكـــل لحـــن مـــن
القـــــاع تتبعنـــــي الفصـــحا تغنينـــي
كأنمـا الطيـر يهـوى بـانت دمشـق فيـا

الجمال دمشـقي : لأنـه لا بـد لـه مـن روضـة فيحـاء ، وخميلة غناء ، وحبة خضراء ، وظل وماء . والحب دمشقي : لأنه لا بد له من أشـواق مسـعفة ، وأحاسـيس ملهفة ، وألمعية ومعرفة .

الوطنيّة الدمشقيّة

كتب ابن عساكر في دمشـق تاريـخ الرجـال ، وسـطر المـزي فـي دمشـق تهـذيب الكمـال، وألـف الـذهبي فـي دمشق ميزان الاعتدال ، واحتسب ابن تيميـه فـي دمشـق الرد على أهل الضلال ، وأرسل لنا المتنبئ من الشام تلك القصائد الطوال ، وذاك السحر الحلال .

قـالوا تريـد الشـام قلـبي بنـت فـي
قلـت الشـام فـي داخلـــي أعلامـــا
هي جنة الـدنيا فـإن فالحســن محبــوب

فـي دمشـق رسـائل الياسـمين ، ودفـاتر اليقطيـن ، ومؤلفـات النسـرين ، للحمـام بهـا رنيـن ، وللعنـدليب بهـا حنين ، كأنها تقول : ادخلوها بسلام آمنين .

ليـس لدمشـق الشـام ، ديـن غيـر الإسـلام . فطـرت دمشق على الإيمان ، ولـذلك طـردت الرومـان ، ورحبـت بحملة القـرآن . ليـس بقيصـر الـروم فـي دمشـق قـرار ، ولذلك ولى الأدبار، ولاذ بـالفرار ، لأن الـدار دار المختـار ، والمهاجرين والأنصار .

مـــن مخـــبر القـــوم أنـــي رجعـــت إلـــى
شطت دارهـم ونـأت أهلـــي وأوطـــاني
بالشام أهلي وبغـداد بـــــــالرقمتين

في الشام يرقـد سـيف الدولـة الملـك الهمـام ، وابـن نباته خطيب الأنام ، وابن قدامة تاج الأعلام ، وأبـو فـراس الحمداني الشاعر المقدام . وفي دمشـق سـكن الزهـري المحدث الشهير ، والأوزاعي العـالم النحريـر ، والـبرزاني المؤرخ الكبير ، والسبكي القاضي الخطير .

أتانا من دمشق كتاب رياض الصالحين ، وكتاب روضة المحبين ، ونزهـة المشـتاقين ، وكتـاب عمـدة الطـالبين ، وكتاب مدارج السالكين ، وكتاب أعلام الموقعين .

فسلام على دمشـق في الآخـرين .

المقـامَـــة الـبغـداديَّـــة

((من لم يدخل بغــداد لم يدخل الدنيــا))

لبغداد العراق دموع على عرصـاتها ذبنـا
صـــــــــــب غرامـــــــــــا
تذكّرك الربوع حراق هم ما كانوا دنيانا

اجتمــع أربعــة أدبــاء ، نجبــاء خطبــاء ، فتعاهــدوا ، وتعاقدوا ، وتواعدوا ، على أن يصفوا بغداد ، دار الأمجـاد ، وبيت الأجواد ، وكوكبة البلاد .

فالأول : عليه وصف علمائها ، وفقهائها .

والثاني : يصف خلفاءها وأمراءها .

والثالث : يصف شعراءها وأدباءها .

والرابع : يصف أرضها ، وسماءها ، وماءها ، وهواءها ، وبهاءها .

فبــدأ الأول ويُـدعى أبــا قتــادة ، وهــو صــاحب ذكــاء وإجادة ، وعلم وإفادة .

فقال : والله لو كتبـت بـدمع العيـون ، علـى صـفحات الجفون ، ما أنصفت بغداد على مداد القرون ، لكن سوف أصف ما كان فيها من علم وعلماء ،بلغ مجدهم الجوزاء :

مــا الــدار بعــدَك يــا
تفنــى عليــك صــباباتي
أنـت المنـى وحـديث
مـن أيـن ابـدأ يـا بغـداد

ولكن أقول ، بعد الصلاة والسلام على الرسول : اعلم أن من بغداد أشرقت شمس الرواية ، وبزغ فجر الدراية ، كانت في العلوم آية ، وفي الفنون غايـة . فكـان بهـا أهـل الحديث ، ولم يكن بها بعثيّ خبيث .

المقامَة البغدادَّية

ولك أن تتخيل مجلس أحمد بن حنبل ، عمـائم بيضاء ، وهمة قعساء ، وسـكينة وحيـاء . إذا قـال

أحمــد : حــدثنا أو أخبرنــا ، أطرقــت الــرؤوس ، وخشعت النفـوس ، وتفتحـت أبـواب السـموات ، وتنـزلت الرحمات :

ســقوني وقــالوا لا
تِجبال سلمى ما سُـقِيتُ

ثم تـذهب إلـى مجلـس فيـه طائفـة مـن الخاشـعين ، فتجد وسطهم يحيـى بـن معيـن ، يحـدث عـن رسـول رب العالمين ، يجرّح ويُعـدّل ، ويُجْمِـل ويُفصَّـل ، كـأنه ميـزان منـزل .

لو حـل خـاطره فـي
أو ميت لصحا أو أخرس

ولله كم مـن ذكريـات تشـجيني ، إذا ذكـرت علـي بـن المديني ، ذاك البطل ، إمام العلل ، السـليم مـن الزلـل ، فتراه يفتـش الأسـانيد ، وينخـل المسـانيد ، بفهـم دقيـق ، وعلم وتحقيق ، يعرف العلة في المسند المسـتقيم ، كمـا يعرف الطبيبُ السقيم .

بـــرأيٍ مثـــل ضـــوء
كأن بريقه حد الحســامِ

ولا تنس البخاري ، الضياء السـاري ، والنهـر الجـاري ، قيد الألفاظ ، وأفحم الحفاظ إن شـكٍ فـي حـديث علقـه ، وإن طال متنه فَرّقه ، وإن لقي كاذباً مزّقـه ، هـو السـيف الحاسم لسنة أبي القاسـم ، اقـرأ تبـويبه ، افهـم ترتيبـه ، لترى كل عجيبة .

من كالبخـاري إذا مـا
أو بـوّب البــاب أو شــدَّ

كأنمـــا هـــو إلهـــام
أو أنّـــه قبـــس يعطـــاه

بغــداد تشــرفت بالســفيانين الثــوري وابــن عيينــة ، وأصـبحت بالعلمـاء أجمـل مدينـة ، وهـي مدينـة الكرخـي معروف ، والإمام الشافعي المعروف .

المكتبة
البغداديَّة

مـن بغـداد أصـحاب الصـحاح والسـنن ، وأهـل الـذكاء والفطن . وهي للحديث دار الضرب والصـلب بهـا تضـرب الموضـوعات للوضـاعين ، ولكـن تصـلب الكـذّابين علـى خشب السـلطان المـتين . قـال بعضـهم : مـن لـم يـدخل بغداد لم يدخل الحياة الدنيا، ومـن لـم يشـاهد حسـنها مـا شاهد النجوم العليا .

فقام الثاني يصف الخلفاء والأمـراء ، الـذين ملـؤوا الدنيا بالعطاء والسخاء .

فقال : هذه مدينة السـفاح ، الـذي خضـب السـيوف والرماح ، وكان لكل مجرم بطاح ، ولكل عدو نطاح .

هذه مدينة المنصور ، صاحب الدور والقصور ، الداهية الجسور ، والأسد الهصور .

هذه مدينة الرشيد ، صاحب القصر المشـيد ، والمجـد الفريد ، والصيت البعيد .

هذه مدينة المأمون ، صاحب الفنون ، وجامع المتون ، ولكنه بالفلسفة مفتون .

هذه مدينة المعتصم المغوار ، الذي أوطأ الخيل الكفار ، وأورد نحورهم كل بتار .

بغــداد أنــت حــديث
إذا مدحتك سال السحر
أنــت المنــى أنــت
كم من رشـيد ومـأمون

ثم قام الثالث يصف الأدباء ، ويثني على الخطباء .

فقال : في بغـداد أكـبر نـاد ، للشـعراء الأجـواد ، إذا شرب الشاعر من ماء الفرات ، أتى بـالمعجزات ، وخلـب

الألباب بالأبيات ، سَمِّ لي شاعراً ما دخل بغداد، اذكـر لـي أديباً ما تشرف بتلك البلاد :

بغداد يا فتنة الشـرق

بســـــحرها العقـــــل

ماذا أردد يا بغداد من

إذا ذكرتــك بعنتــة الهــم

المقامَة العنتيَّة

مـن بغـداد أبـو تمـام ، والبحـتري الهمـام ، وترنـح بهـا المتنبئ بعض عام .

سجل بها ابن الرومي رواياته ، وأبدع إليــاذاته ، وأروع أبياته .

وفـي بغـداد أبـو العتاهيــة ، الشـاعر الداهيــة ، منـذر القلوب اللاهية، وصاحب الرسائل الباهية ، الآمرة الناهية . وهي أرض بشار ، ناسج أجمل الأشعار .

من بغداد انطلقت فـي البحـار والـبراري ، رائعـة ابـن الأنباري : علو في الحياة وفي الممات . من بغداد اسـتمع الدهر في عجبْ ، لدويّ : السيف أصدق أنباء من الكتبْ .

بغداد مهرجان أدبـي كـبير ، لكـل أديـب نحريـر ، فيهـا شعر ونثر ، وحصباء ودر ، وصديق وزنديق ، وحر ورقيق ، وموحد وملحد ، وحانوت ومسجد ، وبارة ومعبد ، ومقــبرة ومشهد ، جد وهزل ، وحب وغزل ، كأن التاريـخ كلـه فـي بغداد اجتمـع، وكـأن الـدهر لصـوتها يسـتمع . وكـأن ضـوء الشمس من بغداد يرتفع .

مصيبة بغداد الحكام الأقزام ، من عينة صدام ، أبطال الشنق والإعدام .

فقام الرابع فقال : كأن الأرض أخـذت مـن بغـداد جمالها ، أفدي بنفسي سـهلها وجبالهـا ، دجلـة لـه خريـر ، والفرات له هدير ، والنسيم به له زئير ، كأن الهواء سـرق من المسك أريجه ، وكأن الماء أخذ من العاشق نشـيجه .

تغار من زهر بغداد الزهراء ، وتحمر خجلاً من حسن بغداد وجنتي الحمراء .

كأن السحاب في سـماء بغـداد مـع الشـفق خضـاب ، وكأن بريق الفجر في مشارف بغـداد ذهـب مـذاب . كـأن وجـه بغـداد مشـرق ، قبـل ميشـيل عفلـق . فلمـا دخلهـا الرفاق ، وحزب النفاق ، كتب على بغداد الشقاء والإخفاق .

للـه يـا بغـداد أنـت

غنـيـت بـك الأعصـار

مـن لـيم يـر ذاك

ضاعت عليه مـع المـدى

أظن بغداد أصابها عين ، أو دخلها لعين ، ما لها قتلت المبدعين ، وطردت اللامعين.

المقامة البغداديَّة

ماذا أصابك يـا بغـداد

أليس كنـت يقينـا قـرة

وأنا عاتب على بغـداد ، والعتاب لا يغيـر الـوداد ، لأنـه جُلد بها أحمد ، وقُتل بها أحمد، وأكرم بها أحمد . فجُلد بها أحمد بن حنبل ، الإمام المبجل، وقُتل بهـا أحمـد بـن نصـر الخزاعي ، الإمام الواعي ، وهو إلـى الحـق داعـي ، وإلـى البر ساعي، وأُكرم بها أحمد بن أبـي دؤاد ، داعيـة البدعـة والعناد ، والفتنة والفساد .

لكن بغداد لها حسنات يذهبن السيئات . ونهر الفـرات ودجلة يطهران من الحدث ، وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث .

المقـامَـــة الـفـلسطـينيّـــة

 سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى

أطفـــال يافـــا عمـرو ولا سـعد ولا
يصرخون ومـا لهـم خطـيـــــــــابُ
[illegible]

زارنا رجل من فلسـطين ، فجلـس علـى الطيـن ، قلنـا اجلس على السرير .

قال : كيف أجلس على السرير ، والقدس أسير ، بأيدي إخوان القردة والخنازير ؟

قلنا : فهل عندك من القدس خطاب ؟

قال : معي من القدس سؤال يريد الجواب .

قلنا : ما هو السؤال ؟

قال : ينادي أين الرجال ، أين أحفاد خالد وسعد وبلال ؟ يا حفـاظ سـورة الأنفـال، أيـن أبطـال القتـال ؟ أيـن أسـود النـزال ؟

قلنا : هؤلاء ماتوا من زمان ، وخلـت منهـم الأوطـان ، وخلـف مـن بعـدهم خلـف لهـم همـم ضـعيفة ، واهتمامـات سخيفة ، وأحلام خفيفة .

ثم سألنا حامل الرسالة ، أين أهل البسالة ؟ أين الإباء ؟ لماذا تغير الأبناء عن الآباء ؟

قلنا : الآبـاء كـانت بيـوتهم المسـاجد ، مـا بيـن راكـع وساجد ، وخاشع وعابد ، وصائم ومجاهد .

والأبناء بيوتهم المقـاهي ، مـا بيـن مغـن ولاهـي ، ومـن بماله يباهي ، ومن وقع في الدواهي ، إلا من رحمه إلهي .

كنـــا أســـوداً ملـــوك
...
والآن أصـبح فـأر الـدار

ثم قلنا للرجل في عجل : سلم على القدس الشريف وقل : نفديك بالنفس ، متى العودة إلينا ، والسلام علينا ؟

قال : إذا عدتم إلى الله عدنا ، وإن بعدتم عنه بعدنا .

نســـاء فلســـطين وفـــي بيـــت لحـــم
تكحّلـــن بالأســـى قاصـــرات وقُصّـــرُ
وليمون يافا يابس وهـا شـجر فـي

قلنا : لماذا عدت لعمر ؟ قـال : لأنـه صـاحب أثـر ، صادق في الخبر ،عادل في السير.

قلنا : ولماذا جئت مع صـلاح الـدين ؟ قـال : لأنـه بطــل حطيــن ، وولــي لــرب العــالمين، وأحــد العابــدين المجاهدين .

قلنا : يا قدس هل من لقاء ؟ قال : إذا أطعتم رب الأرض والسـماء ، وأخلصـتم فـي الـدعاء ، وتـدربتم علـى الجهاد صباح مساء ، وتبتم من كل معصية وفحشاء .

قلنا : كيف حالك الآن ؟ قال : في هموم وأحــزان ، وغمـوم وأشـجان ، سـجين فـي زنزانـة الطغيـان ، بعـد مـا فارقت أهل الإيمان ، وحملة القرآن .

مـن حـاله وهـي فـي
مصائب البين لا يرثي له

ثم قـال : أمـا تـرون خـدي شُـوّه بالنجمـة السداسـيّة ، وداست على جبيني الدولة الإبليسية ، أين أحفاد مصعب بن عمير ، ينقذونا من أبناء جولدا مـائير ، أيـن أمثـال عمـر بـن عبد العزيز ، يطلقونا من قبضـة بيريـز ، أيـن عُبّـاد الـديّان ، يمسحون عن جبيني وشم ديّـان ، أيـن طلاب عبـد اللـه بـن مسـعود ، يطـردون إخـوان القـرود ، ويفكـون عـن قـدمي القيود .

أيـــا فلســـطين قـــد
مـــتى اللقـــاء عســـى
نعم أتينا وفـي إيماننـا
مسلولة تمطـر الأهـوال

ثم قالت : أنا القدس السليبة ، كنت إلى الرسول حبيبة ، ومن قلب كل مؤمن قريبة ، وأنـا الآن فـي بلاء و[illegible] السليبة ، وأحوال عجيبة .

مـــررت بالمســـجد هل في المصلى أو
المحـــزون أســـأله المحـــراب مـــروان
تغيـــــر المســـــجد على المنابر أحـــرار
المحزون واختلفت وعبـــــــــــــدان
فلا الأذان أذان في

فلسطين في قلوب المسـلمين ، تنـاديهم مـن سـنين ، وليس فيهم من قال : لبيـك جئنـا فـاتحين ، لكنـا تعبنـا مـن محبة أهل الإرجاء ، تمدح وادعاء ، وفلسطين تصـرخ صـباح مساء.

إذا لم تكن هنا حمية إسلاميّة ، فأين النخوة العربية .

رب وامعتصمـــــاه مِلء أفواه الصـبايا
انطلقـــــــــت اليتـــــــــــم
لامسـت أسـماعهم لـم تلامـس نخـوة
لكنهـــــــــا المعتصـــــــم
ألإســـرائيل تعلـــو فـي حمـى المهـد

لو سمع عمر صرخة طفل مجهود ، أبوه مفقود ، وأخوه في القيود ، لجنَّد الجنود ، ولداس اليهود . لو طرقـت سـمع المعتصم وا أماه ، لضاقت أرضـه وسـماه ، ولقـاد الكمـاة ، ولأخرج فلسطين من زنزانة الطغاة البغاة .

فلسطين تنادي حطين : هل عندك مـن صـلاح الـدين ؟ فإنا يا أختاه في الحبس مرتهنين ، ولنا أنين .

وليمون يافا يابس فـي
وهـل شـجر فـي قبضـة
رفيق صلاح الديـن هـل
فإن جيوش البغي تنهـى
رفاقـــك فـــي الأغـــوار
وجيشك في حطين صلّوا

خمسـون عامـا ، ونحـن نـرى أيتامـا ، ونشـاهد أيامى ، ونبصر آلاما ، ثم نتعامى ، ولا يحرك فينا هذا كله إلا بهائما .

من أراد أن يطلق القدس من الأسر وأن يفكّه ، فليأخـذ دستوره من مكّة ، القدس إسـلامية مـا ترطـن ، ولا تنتظـر النصر من واشنطن ، القدس تقلـق ، إذا جئنـا بجيـش فيـه ميشيل عفلـق . يحـرر الأرض ، ويحمـي العـرض ، مـن أدى الفرض ، وخاف يوم العرض .

دونك مليار مسلم آيسين بائسين ، أمام من قيل فيهم : كونوا قردة خاسئين .

مهلاً فـديت أبـا تمـام
أيـن احتفـيت بالعـدا
اليوم تسـعون مليونـاً
نضـجاً وقـد عصـر
وأطفـأت شـهب
وشمسنا وتحـدت نارهـا
تنسـى الـرؤوس
إذا امتطاهـا إلـى

مـا يحـرر فلسـطين إلا طلاب العـز بـن عبـد السـلام ، وتلاميذ عز الدين القسام .

افهمهـا بالمكشـوف ، مـا يحـرر فلسـطين طلاب سخاروف ، ولا يردها لأهلها أهل الـدفوف، إنمـا تعـود علـى أيدي من يصلي ويطوف ، ويجاهد في الصفوف .

يا شجر الغرقد ، جاء الموعد ، ليعـود المسـجد ، تحمـي القرود ، وتخبّئ اليهـود مـن الأسـود ، كـل الشـجر بِوَادينـا ، ينادينا ، إلا أنت تعادينا .

خمسون عاما مـؤتمرات أو مـؤامرات ، ومشـاورات أو مشاجرات ، ومناورات أو مهاترات .

شـجباً ونكـراً وتنديـداً

لله كم نددوا يومـاً وكـم

مــاذا فعلنــا غضــبنا

تصـــدق وقـــد صـــدق

الكـل يطـوف ، بمجلـس الخـوف ، ونحـن وقـوف فـي صفوف ، ننتظر ماذا يقول بوش وغورباتشوف .

مقامة الفلسطنسّة

خمسون عاماً ما أخبرتنا هيئة الأمم ، بمن ظلم ، وهـدم الحرم ، وخان في القسم .

يا معشر العرب : من أصابته مصيبة ، فلـم يأخـذ الحـل من طيبة ، عاد بالخيبة ، وكان الفشل نصـيبه . فلسـطين لا تعود بالكلام ، ولا بحفلات السلام ، ولكنهـا تعـود بالحسـام ، وبضرب الهام ، وتمريغ الباطل بالرغام .

سيصـغي لهـا مـن وللـه أوس آخـرون

فلسطين إسلامية النسـب ، وليسـت عربيَّـة فحسـب ، ولـذلك كـان صـلاح الـدين فاتـح القـدس مـن الأكـراد ، والسلطان عبد الحميد ناصر فلسطين من الأتراك الأجواد ، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد :

بعهـــا فـــأنت لمـــا لـــك إثمهـــا ولهـــا

لا تعود فلسطين عن طريق الملحدين ، ولا عـن طريـق الوحدويين ، وإنما تعود تحت رايات الموحدين .

هـل تظـن أن اليهـودي العنيـد ، والإسـرائيلي المريـد ، سوف يطرد بمـؤتمر مدريـد، كلا وعـزةِ الحميـد المجيـد ، لا يزول إلا بكتائب التوحيد ، وأحفاد خالد بن الوليد .

يا فلسطين انتظري كتائبنا مع الصباح ، تنادي حي علـى الفلاح ، ليعود الحـق إلـى أصـحابه ، والسـيف إلـى نصـابه ، ولتعود الوديعة إلى واليها ، والطفلة إلى أبيهـا ، والـدار إلـى راعيها ، ويومئذ يفـرح المؤمنـون بنصـر اللـه القريـب ، إنـه سميع مجيب .

فلسـطين غـاب سـلاطينها ، فـأفلس طينهـا ، لا يطـرد الغزاة من غزة إلا أهل العزة ، أطفال حيفا حفـاة ، واليهـود جفاة ، فهل من يلبي النداء ، ويقدم روحه فداء، يـا مـن أراد الجنة ، لا تتبـع مـا أنفقـت بـالأذى والمنّـة ، ومـاذا عليـك لـو

قتلتك اليهود فأنت شهيد ، البيع قد جرى ، والله اشترى ، ما هبط سوق القتال ، وقل هيا إلى النزال

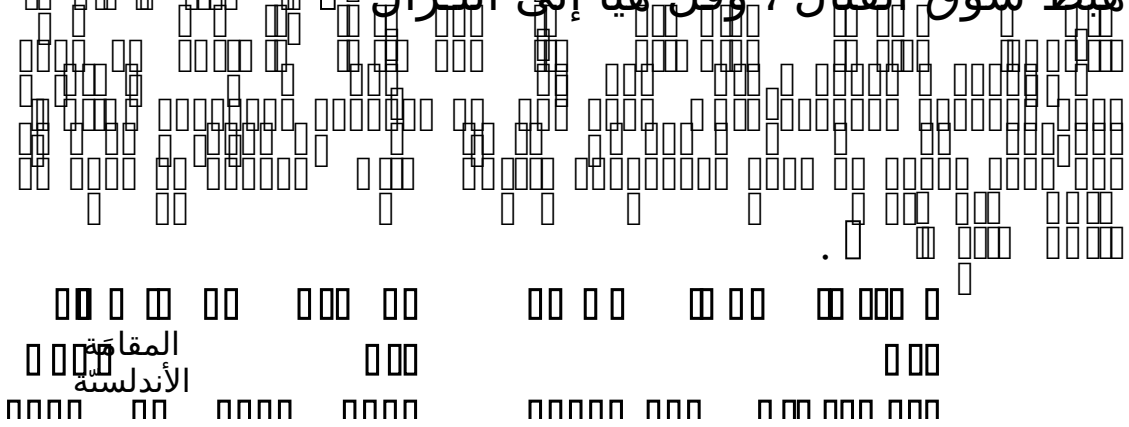

المقـامَـــة الأنـدلـسيّـــة

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ

جَـــادَك الغيـــثُ إذا يـــا زمـــانَ الوصـــلِ
الغيـــــثُ هَمَـــــى بالأنـــــــــــدلسِ
فهـ الكَرَى أو خلْسةَ

حدثنا محمود بن أنس ، قال : لما دخلنا الأندلس ، وهي في ثياب الجمال تتبهرج ، ولسانها من الخجل يتلجلج ، قلنا : كيف الحال ، يا موطن الرجال ، أنتِ بلسم الفؤاد ، وأرض الآباء والأجداد ، ومهبَط جيش طارق بن زياد ، فقالت : أهلاً بالأخوة من النسب ، أهل الكرم والحسب ، وبيننا سبب الإسلام أعظم سبب ، ثم التفتنا إلى ثلاثة شباب ، وقد ارتدوا أجمل الثياب ، فقام أحدنا معرفاً بأسمائهم ، ونسبهم إلى آبائهم ، فقال : **أما الأول :** فاسمه عبد الرحمن بن طارق بن زياد .

والثاني : عبد الله بن موسى بن نصير .

والثالث : عبد السلام بن عبد الرحمن الداخل .

فقلنا يا أبناء الأجواد ، وأحفاد الأسياد، حدثونا عن هذه البلاد .

فقال عبد الرحمن : أما قرأتم التأريخ ، وما فيه من مدح وتوبيخ ، أما علمتم أن أجدادنا دخلوا الأندلس فاتحين ، مكبرين مسبحين ، عظموا الله في القلوب ، فملّكهم

الشعوب ، نشروا رضاه بالدماء ، فرفع رايتهم في السماء ، صدقوا في الديانة ، فشرفهم بحمل الأمانة ، نشروا العدل ، وطردوا الجهل ، فهـم كـالغيث علـى المحـل ، فلمـا تخلـف بعدهم جيل ، وضلوا السبيل ، أصبحوا في الـذيل ، ثـم بكـى وأنشد :

هل سألت الدهر عنا ... كنجوم الليل للجـوزا
يـــــوم كنـــــا ... وصـــــــــــلنا
ونشرنا في بلاد الله ... ونقلنا أخبار أهل

فقام عبد الله ، فقال : يا الله ، كيف كنا ، وكيف أصبحنا ، بعدما قصرنا في ديننا مـا أفلحنـا ، كـانت المنـائر تـؤذن بـدعوتنا ، والمنـابر تضـج بخطبتنـا ، كنـا بالإيمـان أسـعد ، وللشعوب قـادة ، لأننـا أطعنـا الرحمـن ، وحكّمنـا القـرآن ، وحاربنا الشـيطان ، فلمـا قعـدنا عـن الجهـاد ، وعصـينا رب العباد ، ووقعنا في الفسـاد ، صـرنا مـا بيـن طريـد وشـريد، وقتيل وفقيد ، ثم بكى وأنشد :

هـــذا جـــزاء أنـــاس ...
وقصروا في أمور الدين ...
كـانوا شموسـاً عيـون ...
لكنهم بعد طـول الـدهر ...

ثم قام عبـد السـلام ، فانـدفع فـي الكلام ، وقـال : لمـا اتبعنا الأثر ، حكمنا البشـر ، وبلـغ مجـدنا القمـر ، وفـرح بنـا البدو والحضر ، فلما وقعنـا فـي الـترف ، وأدمنـا السـرف ، ودعنا الشرف، وصرنا كالصّدف ، ثم أنشد :

يـا رب هـل مـن عـودة ...
أرض فتحناهـــا برســـم ...
شِدْنا بها صرح العلـوم ...
تاجاً لكل موحد مأمـــون

قال الراوي محمود : ثم دخلنا غرناطة ، والقلب قد هـد نياطه ، فوجدناها قد كتب على بابها : السلام على من اتبـع الهدى ، وأجاب الندا ، أنا غرناطـة فـاعرفوني ، سـلبت مـن أيدي أهلي فارحموني ، كنت مدينة العُبَّاد والزهاد والأجـواد، فأصبحت ملعب الأشرار ، ومرتع الكفار ، ومسرح الفجـار ، فرحم الله عبداً ترحم عليَّ ، وأهدى ثواب حجه إليَّ ، فبكينا مما رأينا ، وكأنها تشكو إلينا .

ثم أتينا قرطبـة ، وهـي معبسـة مقطبـة ، فوجـدنا علـى باباها كتابة ، كأنها كتبت بالسبّابة ، فقرأنا فإذا هي تقول ، يا أهـل العقـول ، أنـا قرطبـة دار العلـوم ، سـلبني الظلـوم ، ونهبنـي الغشـوم ، كنـت داراً للعلمـاء ، وكعبـة للحكمـاء ، ومزاراً للكرمـاء ، ومنـزلاً للعلمـاء ، واليـوم أصـبحت بـارة للخَمَّار ، وحانوتا للشَّطار ، بعد أن كنت بيت الأبرار ، وكهـف الأخيار ، فوقفنا نبكي ، وإلى الله نشكي .

المقامَة الأندلسيّة

ونادى منادينا ، وصاح حادينا ، فقال أين القوم الفاتحون ، أين الملأ الناصحون ، أين صقر قريش ، أين قادة الجيش ، أين الناصر والزهراء ، أين الحاكم والحمراء ، أين المنذر بن سعيد ، صاحب الرأي السديد ، والنهج الرشيد .

أين ابن عبد البر ، الذي نشـر العلـم فـي البحـر والـبر ، ونثر الجوهر والدر ، أين الاسـتذكار ، مـن أنفـع الكتـب فـي الآثار ، أين التمهيد الذي ما حمل مثله البريد .

أين ابن حزم ، صاحب العـزم ، إمـام الظـاهر ، صـاحب العلم البـاهر ، والقلـب الطـاهر ، صـاحب القـدح المعلّـى ، ومؤلف المجلّى ، والمحلّى ، الذي بلغ الإمامة ، وألف طـوق الحمامة .

أين القرطبي صاحب التفسـير ، أيـن الشـاطبي الإمـام الشهير ، حامل الفكـر المسـتنير ، أيـن ابـن زيـدون ، وابـن خلدون ، وابن عيذون ، وأهل الفنون ، ما لهم لا ينطقون .

أين رائعة :

أضحى التنائـي بـديلاً

ونـاب عـن طيـب لقيانـا

أين السحر الحلال ، والروعة والجمال في :

جـــادك الغيـــث إذا

يـا زمـان الوصـل فـي

أين العويل والبكاء في أم الرثاء والقصيدة الغراء :

لكل شـيء إذا مـا تـم

فلا يغـر بطيـب العيـش

أين لسان الدين الخطيب ، ومؤلف نفح الطيـب ، وابـن رشد الحفيد ، الذكي الفريد ، صاحب بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد . أين المنصور بـن أبـي عـامر ، البطـل المغـوار ، صاحب العزم القاهر . لله كم من علم جليل ، ورأي أصيل ، ونسب نبيل ، ووجه جميل ، دفناه في هـذا الـثرى ، وتركنـاه آية للورى .

هنا تركنا أكبادنا ، هنا دفنا أولادنا ، هنا قبرنا أجدادنا ، هنا دموعنا سفحت ، هنا دماؤنا سـفكت ، هنـا مرابـع سـمرنا ، وهنـا ديـار شمسـنا وقمرنـا . هنـا طرحنـا نفـوس الأبطـال الأشداء ، في بلاط الشهداء ، هنا أرواحنا خفاقة ، على قتلى معركة الزلاّقة .

ما كنا نظن أنَّا إلى هذا الحال نصير ، بعد أمجاد موسـى بـن نصـير . اسـألوا الجبـال والوهـاد ، اسـألوا كـل نـاد ، واستنطقوا كل واد ، عن كتائب طارق بن زياد .

أعندكم خبر عن أهـل

فقـــد ســـرى بحـــديث

تلـك الفجيعـة أنسـت

وما لها في قديم الـدهر

لمثـــل هـــذا يـــذوب

إن كـــان فـــي القلـــب

السلام على كل أنـدلس فـي الآخريـن ، وجمعنـا بأهلهـا مـن المسـلمين ، فـي جـوار رب العـالمين . هـذه أخبـار الأندلس : وسلامتكم .

المقـامَــة الأفغانـيّـــة

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ

تـــأخرت اســـتبقي لنفسـي حيـاة مثـل
الحيـــاة فلـــم أجـــد أن أتقـــــــــدما
وليس على الأعقاب ولكن على أقدامنا

لما دخلنا أفغانستان ، سألنا عن حدودها ، فقيل يحدها باكستان ، وطاجكستان ، وحولها بلوشستان ، وهي قريبـة مـــن كردســـتان ، وأســـفل منهـــا عربســـتان ، ووراءهـــا تركمانســـتان ، ووجـــدنا شـــباباً مـــن قحطانســـتان ، وزهرانستان ، وشهرانستان ، وشمرانستان ، ولما وصلتها وحدت جند الرمن ، وكتيبة الإيمان .

ووجدنا الموت يصنع هنا الحتوف ، تعلنه كل وقت الكلاشنكوف ، من شركة إسلام أوف ، ليقتل بها كل ملحـــد أوف ، وملعـــون أوف ، مـــن قائمـــة خرتشـــوف ، وغرباتشوف . فحيينا الأفغان بقصيدة شعبية ، نيابة عن الأمة العربية ، فقلت :

يا سلام الله لحكمة هو
وانعم يا سياف حضـرة
قايـد القـوات فيهـم
كـم عـدو بـأرض كابـل

فرد أحد العربان ، وليس أحد الأفغان ، فقال :

اللهـب فـي المعركـة
والعسـاكَّر كـل واحـد
كل جندي جاب مركـب
يـوم كـل يتقـي فـي

ويل لمن قاتل الأفغان ، أين عقله كيف يمازح الأسد وهو غضبان ، الأفغاني يأتي المعركة كأنه يأتي العرس ،

ويصـب دمـه كـأنه يسـكب حـبراً علـى طـرس ، عنـق الباكستاني أربع أصابع ، لأن آخر من قتل من أجداده الجد السابع .

وعنـق الأفغـاني سـبع أصـابع ، لأنـه لا يمـوت إلا فـي المعركة بسيف قاطع .

الأفغــاني فــي الغــالب لا يســمع الأغــاني ، ولا تلهــه الغواني ، لأنه مشغول بالمثاني ، واستنباط المعاني .

وجدنا في أفغانستان رجالاً كالأسود ، وكتائب كالسدود ، أرضـهم للملاحـدة لحـود ، ورصاصـهم لبلادهـم حـدود . الأفغاني قليـل الدعابـة ، ظـاهر المهابـة ، غزيـر النجابـة ، كأنه ليث غابة .

الأفغاني إذا غضب أحرق مزاجه ، ورمى علاجه ، وذبح الرجال كذبح الدجاجة .

أخرجت لنا شوارع سميرا ميس ، فاتنات فـي الحريـر تميس ، وشباباً من أتباع انطون وجرجيس ، وأخرجت لنـا جبـال الكنـدوش ، تلـك الجيـوش ، فهـذا الأصـلي وذاك المغشـوش .كبّلـت كابـل أعـداء الـدين ، وقهـرت قنـدهار الملحدين ، وأخرجت جلال أباد المجاهـدين . دخـل شـعب الأفغان الدين وأسلم ، على يد قتيبـة بـن مسـلم ، وصـاح شاعر الأفغان ، محتجاً على الطغيان ، إذ يقول وهو يقاتـل في الميدان :

نـــامني نـــزام نامني نزام غربيا
شـــــــــرقيا حبيبيــا محمّـــدا
مصـــــــطفى.

ومعنى أبيـاته أي أرفـض النظـام الشـرقي ، والنظـام الغربي ، وأريد نظام حبيبي محمد صلى اللـه عليـه وسـلم المصطفى المجتبى .

العجم أهل مبالغة في الأحكام ، إذا قالوا لك عن أحـد هذا مولانا شيخ الإسلام ، وعالم الأنام ، فاعلم أنـه يحفـظ ثلاثة أحاديث من بلوغ المرام ، وإذا قـالوا عـن عابـد: هـذا

فاعلم أنه لا يزيد على صيام رمضان .

بركة الزمان ، ونور الأكوان ، وولي الرحمن ، العالم الأفغانيّ

أبو إسماعيل الهروى الأنصاري أفغاني ، وهو العالم الرباني ، وقد أحيا الشاعر محمد إقبال الأفغان ، في ديوانه المثاني . الأفغان شجعان ، في الليل رهبان، وفي النهار فرسان ، لو أن في أفغانستان ، طالب واحد لسلم من الخلاف الإخوان ، ولكن في أفغانستان ، طالبان اثنان .

قبل القتال كان في أفغانستان ، عابدان ، أي عابدون ، وفي الحرب جاء مجاهدان ، أي مجاهدون ، وبعد الحرب ظهر طالبان ، أي طلبة متعلمون ، فهم في السلم عباد أولياء، وفي الحرب مجاهدون أشداء ، وبعد النصر علماء حكماء .

المثنى عند الأفغان ، جمع مذكر سالم عند العرب أهل اللسان ، لأن واحدهم بعشرة في الميزان ، تستورد الهند وباكستان ، من أفغانستان ، القادة والزعماء ، وتصدران لها الرسّامين والشعراء ، الأفغاني يفهم إشارة العينين ، وبعض الناس لابد في إفهامه من حركة اليدين ، والبعض لا يفهم إلا باليدين والرجلين .

احتل أفغانستان الروس ، فرجعوا جثثاً بلا رؤوس ، لأن عند الأفغان مثل : (اقطع من الوردة رأسها ، واترك أساسها) .

الأفغاني تريد الإتمام به وهو يريد القصر ، قل له أجمل الدنيا الشام، يقول لك أجمل منها مصر ، إذا وقفت جلس ، وإذا قمت نعس ، وإذا تثاءبت عطس ، وافق الأفغاني إلا في الحرام ، وأظهر له الحب والاحترام ، يكن في يدك كالحسام ، وفي نصرتك كالغلام .

غضبُ بعضهم في بطنه ، إذا غضب أكل أكْل الدواب ، وعَضبُ البعض الآخر في لسانه إذا غضب ملأ الدنيا بالسباب، وغضب الأفغاني في يده إذا غضب حوّل كل شيء إلى خراب ، لا تكلم الأفغاني وهو غضبان ، ولا تمازحه وهو تعبان ، ولا تصافحه وهو جوعان .

يا أيها الأفغان ، أطيعـوا الرحمـان ، سـوّوا صـفوفكم ، واغمدوا فيما بينكم سـيوفكم ، وسـدّوا الفُـرَجْ ، وانتظـروا من الله الفَرَج ، ولكم منا تحية إجلال ، على حسن الفعال ، ولـن ننسـى لكـم تلـك البطـولات ، وهـذه التضـحيات ، والحسنات يذهبن السيئات .

واعلمـوا أنَّ الوفـاق والاتفـاق ، هـو الطريـق لحمـل الميثاق .

وأن الافتراق ، هو باب الإخفاق .

المقـامَــة الأمـريـكانيــة

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

مــن بلادي يطلــب العلــم مــن العلــــــــم ولا الغـــــرب الغـــبي

قال الراوي : يا عائض ، دعنا من الردود والنقائض ، فإنا نرى الفجر وشيكا، فحدثنا عن أمريكا قلت: الله المستعان ، وهو عظيم الإحسان ، ممدوح بكل لسان .

لقد سافرنا قبل مدّة ، من أبها إلى جدة ، فـي صـحبةٍ بالصـدق معروفـون ، وبـالخير موصـوفون ، فكنـا قرابـة العشرة ، قاصدين بلاد الكفرة ، فلما ودّعنا البلاد ، وحملنـا الـزاد والمـزاد ، أنشـد شـاعرنا بصـوت جميـل ، ودمـوعه تسيل :

سقى الله أرضـاً لامـس
وجميـــــلها بالشـــــيح
فــأنتِ الــتي أسكنـــتِ
وسحـــرك فـــي عينـــي

ثم مشينا مع الجموع السائرة ، حـتى ركبنـا الطـائرة ، فرأينـا الكبتـن، كـأن خـده لبتـن، أحمـر الوجنـتين، أزرق العينين ، فلما طرنا مقلعين ، وسـافرنا مسـرعين ، قاربنـا السحاب ، وللطائرة أزيـز وانتحـاب ، فنظرنـا إلـى القمـر المضـاء ، وطالعنـا كتـاب الفضـاء ، فبهرنـا ذاك الصـنيع ، والخلق البديع، من شمس تسـطع ، وقمـر يلمـع ، ونجـوم زواهر ، وبحار زواخر ، الأرض مكوّرة ، والسـماء مـدوّرة ، والكـون ليـس عـاطلا ، فسـبحانك مـا خلقـت هـذا بـاطلا وسمعت للركاب تصدية ومكاء ، قلت أين أنت يا بكاء :

اقــرأ القــدرة فـــي لا تكـن يـا صـاحِ فـي
الكـــــون البهيـــــج أمـــــــر مريـــــج
قـل هو الـرحمن آمنا قـدس البـاري ورتـل

فلما اقتربنـا مـن تلـك الولايـات ، قرأنـا بعـض الآيـات ، وأنشدنا شيئاً من الأبيات ، وهبطنا في مطـار جـون كنـدي ، ودثّرت من شدة الـبرد جسـدي ، وأصـبحنا مـن الـبرد فـي ثلاجة ، حين وصلنا ديار الخواجة ، وانتظرنا في صف عريض ، بين سـود وبيـض ، والجـوّ مـن أفعـال أولئـك مريـض ، ثـم سمعنا أمريكياً يرطن ، يقـول هيّـا إلـى واشـنطن ، فغادرنـا المحل والسـكن، وركبنـا مـع شـركة بـان أمركـن ، فحززنـا أجسامنا بالرباط حزّا، وهزتنا الطائرة هزّا ، لأن قائدها أهوج ، قلبـه مثلّـج ، فكـل راكـب بـالخوف مدجّـج ، فكأنهـا مـن الركاب فاضية ، ونادى بعضنا يـا ليتهـا كـانت القاضـية ، أمـا الأمريكان ، فما كأنّ شيئاً كان ، فهم في لهوهم يضـحكون ، وإذا مروا بنا يتغامزون ، فمـا أدري ، والطـائرة تجـري، هـل تعجبوا من جزعنـا ، وسـخروا مـن فزعنـا ، وأنكـروا هلعنـا ، فليتهم يعلمون ، وعن غيّهم يرجعون ، أن أجدادنا نحن أهــل الوجوه الصفراء ، والغتر الحمراء ، كانوا بالتوحيد فــاتحين ، وعلى أمواج البحار سـابحين ، قلـوبهم مصـاحف ، وبيـوتهم للفضائل متاحف ، يحملون الأرواح على السـراح ، إذا نـادى المنادي : السلاح السلاح ، أما علمتم أنا أتبـاع محمـد، خيـر من تعبّد ، وصام وتهجّد ، ومنّـا الخلفـاء الأصـفياء ، الأوفيـاء الشـرفاء ، ومنّـا العلمـاء الكرمـاء الحلمـاء ، والسـادة أهـل الإفادة ، والرفادة والوفادة .

نحن حملة المحابر ، وأصحاب الدفاتر ، وروّاد المنابر ، فضحكوا ساخرين ، والتفتوا لقوم آخرين ، وقالوا قطعتكم الأماني ، وأشغلتكم الأغاني ، يا ضـرّابة العـود ، ويـا رعـاة القعـود ، ليلكـم طـرب ، ونهـاركم لعـب ، يـا بلاد الفنـانين والفنانـــات ، والمغنيـــن والمغنيـــات ، الأحيـــاء منهـــم والأموات ،.. قلنـا كـذبتم ورب المشـارق والمغـارب ، و لا يكتم الحق إلا كاذب ، أين أنتـم يـوم فتحـت لنـا السـماء ، وكتب تاريخَنا الحكمـاء ، يـوم عشـنا فـي العـالم رحمـاء ، وحكمنا الدنيا حلماء ، وملأنا المعمورة علماء .

هل أشرق الفــجر إلا من

وهل همى الغيث إلا من

حـتى النجـوم علـى

والشـمس فـي حسـنها

المقامَة الأميركانية

فقالوا تلك أمة قد خلـت ، وحقبـة سـلفت ، وقـد نـامت النعجة في مربض الأسـد ، لمـا نسـيتم قـل هـو اللـه أحـد ، أخذتم من الغرب قشوره ، ومـا صـنعتم للعـالم طبشـورة ، وأخبار لعبكـم ولهـوكم منشـورة ،.. قلنـا فـاتكم الصـواب ، وأخطأتم في الجواب ، فأنتم الذين تركـوا العـالم هشـيماً ، أما دمرتم نجزاكي وهيروشـيما ، أهلكتـم النسـل والذريـة ، بالقنابل الذريـة ، حكمتـم بلا شـريعة ، وأحللتـم المخالفـات الفظيعة ، ونشرتم كل عادة خليعة ، هجرتم الذكر ، ونسيتم الشكر ، وأبحتم السكر ،.. فقال قائل منهم ، وتحدث كـاتب عنهم ، فذكر لنا صناعتهم ، وشرح لنا بضاعتهم ، وقال : أما ملأنا البر حتى ضاق عنّا ، وحكمنا البحر بقوة منّا ، أما صنعنا الطيارة ، أما هندسنا السيارة ، أما سهلنا التلفون ، ويسـرنا التلفزيون ، واستفدنا من ذبذبات الأمزون ، أما صنعنا للعين زجاجـة ، وللطعـام ثلاجـة ، وللطفـل درّاجـة ، ضـخّمنا بالميكروسـكوب الهبـاء ، وأضـأنا الليـل بالكهربـاء، أجـدنا الدفاع والهجوم وبلغنا بالاختراع النجوم ، هبطنا على القمر، واكتشفنا الماس من الحجر ،..

قلنـا رفضـتم الإيمـان ، وهجرتـم القـرآن ، وأطعتـم الشيطان ، هدمتم المسـاجد ، وشـيدتم للفجـور المعابـد ، أنفقتم المليارات على البارات ، وعرضتم للناس الغانيات، وملأتـم المراقـص بالمغنيـات ، المخمـور فـي شـوارعكم يخـور ، والكـأس علـى رؤوسـكم تـدور ، الأبيـض عنـدكم مقدس والأسود مقهور ، البنوك لديكم مرابية ، والأسـواق فـي بلـدكم لاهيـة ، ومجالسـكم لاغيـة ، ملحـدون لا موحدون ، متفرقون لا متحدون ، ليـس لـديكم إسـلام ولا صـلاة ولا صـيام ، ولا حلال ولا حـرام ، شـهواتكم وثَّابـة ، وألسنتكم كذابة ، كأنكم في غابة ، قتلت عنـدكم المبـادئ في النوادي ، في كل يـوم وللرذيلـة لـديكم ألـف منـادي ، أين الاعتراف بالاقتراف ، أين الكفاف والعفاف ، غـارقون في المادة ومن الفضيلة أجلاف ، لا وضوء ولا طهارة ، ولا

مسجد ولا منارة، بل أنتم أصحاب حانوت وخمّارة . للدماء سفكتم ، وللأعراض هتكتم .

تكـــاد تســـقط مـــن
هـــذي الســـماء وتخبـــو
والجـــو يظلـــم ممَـــا
ويـــح الحضـــارة إذ مـــا

المقامَة الأمريكية

.. فقال دعنا مـن الأشـعار ، ولا تلصـق بنـا العـار ، فمـا يرتفع الدخان إلا من النار ، أما تشاهدون تقدمنا أما تـرون ، مـا لكـم لا تنظـرون ، غزونـا المريـخ ، وأنتـم تعيـدوننا إلـى التأريخ ، فماذا فعلتم في قديم الزمان ، تكلموا ولكم الأمان ..،

فقلنا : سبحان الملك القدوس ، ما أظلم هذه النفـوس . أليس على أرضنا الوحي هبط ، وفي ديارنا غيـث الرسـالة سقط ، ومنا عرفت الهداية فقط .

أليـس منّـا الصـدّيق وعثمـان ، وعمـر وثوبـان ، وعلـيّ وسـلمان، وبلال وحسّـان ، منّـا خالـد المقـدام ، والقعقـاع الصمصام ، ومنّا همّام ، وأبو تمام ، ومنّـا أويـس ، والأحنـف بن قيس ، وأسماء بنت عميس .

أما صفق لقدومنا الفرات والنيل ، وهلل لطلعتنا مضيق الـدردنيل ، نحــن أســاتذة الأكــراد والتركمــان ، ومعلمــوا الإنجليـز والألمـان ، أمـا انـدهش مـن عبقريتنـا شـارلمان ، وبسماحة الصّدّيق فتحنا الطريق ، بدرة الفاروق ، أدبنا أهل العقوق ، بصدق أبي ذر، قلنا الحـق وهـو مـرّ ، منّـا الرشـيد الذي تحدّى السحاب ، وملك من طنجة إلى البنجاب ، ومنّــا المعتصم الذي فتح عمورية ، ونسخ الدولـة الآشـورية ، منّـا السـعدان والسـعيدان ، والسـفيانان ، والحمـادان ، ومنّـا البخاري ، وصـاحب فتـح البـاري ، ومؤلـف لامـع الـدراري ، وشـارح هـدي السـاري ، بعثنـا للعـالم مبشـرين ، وخرجنـا للناس ميسرين ، أذقنا العباد طعم الحرية ، وأعتقنـا العـالم من المنظمـات السـرية ، أذنّـا فـي الحمـراء ، وصـلينا فـي

الزهراء ، ربطنا خيولنا على ضفاف اللوار [3] ، وسجدنا على صحراء سنجار، وتلونا القـرآن علـى جبـال قنـدهار ، رفعنـا الإيمـان فـي الهنـد ، ونشـرنا المعرفـة فـي السـند ، أسـرنا الجبابرة ثم أعتقناهم ، وملكنا الأكاسرة ثم أطلقناهم ، نكبّر فتسقط القلاع ، نؤذّن فتهتز التلاع ، نقرأ فتطرق الأسـماع . لبسـنا الثيـاب المرقعـة ، والأحذيـة المقطعـة ، ففتحـت لنـا البلاد ، ورحـب بنـا العبـاد ليلنـا قيـام، ونهارنـا صـيام ، فـي الدجى رهبان، وفي الميدان فرسان ، على المنـابر سـادة ، وفي المعارك قادة، ساوينا بين الأمراء والفقراء ، والحقراء والكـبراء ، أنصـفنا الشـاة مـن الـذيب ، وعلّمنـا الوحـوش التهذيب .

الوحوش الأمر بكاينة

نحن شـموس العلـوم ، ونجـوم الفهـوم ، ربطنـا علـى بطوننا الحجارة من الجوع، وبللنا مواطن السجود بالدموع ، وكنّا في صلاتنا كالسواري من الخشوع .

نتوضـأ فتتنـاثر منّـا الخطايـا ، نغنـم فتسـيل مـن أيادينـا العطايا ، نرتل القرآن فتقف علـى أصـواتنا المطايـا . نـادى منادينا ، علـى سـنة هادينـا ، يـا أيتهـا النفـوس مـن المـوت اشربي ، ويا خيل الله اركبي ، فجمّد الله لنا المـاء ، وظلّـل علينا الغمام في السماء .

منّا من اهتز لموته عـرش الرحمـن ، ومنّـا مـن كلّمـه الله بلا ترجمـان ، ومنّـا مـن غسّـلته الملائكـة يـوم التقـى الجمعان ، لا نكذب ولـو أنّ السـيوف علـى الـرؤوس ، ولا نسرق ولو أنّ الجوع يمزق النفـوس ، اسـمعوا مـاذا قـال كاتبكم وله منكـم معجبـون ، أعنـي جوسـتاف لوبـون مـا عرف العالم فاتحاً أعدل من العـرب ، فهـم أهـل الرحمـة والحلم والأدب ، واستشهِدوا الكتب :

نحـن هـل تـدري بنـا

قصـدنا جـنّة مـولانا

قد ملأنا الأرض عـدلاً

---

[3] () نهر في جنوب فرنسا .

وسِوانا في الورى عُجْـرُ

أمّـا مـا ذكـرت مـن تخلفنـا هـذه الأيـام ، فهـو لضـعف تمسكنا بالإسلام، ملأنا الكروش وشاهدنا الدشوش ، وزينـا الرموش ، وجمعنا القروش ، اشتغلنا بالمراسلات ، وسهرنا مــع المسلســلات ، فأصــبحنا فــي الســلاّت المهملات ، والخانات الفارغـات ، أحببنـا الكرسـي ، وعشـقنا التبسـي ، وأدمنا الببسي ، وتعلقنا بالتكسي ، نحن في الأسواق أمواج ، وفي الشوارع أفواج ، أموالنا في شراء الـدجاج ، وأوقاتنـا ذهبت في الحراج ، لما اتخمنا بالعصيدة

ما أصبحنا ننظـم القصـيدة ، أصـبح طالبنـا أبلـه ، لأنـه عـاش مـع طـه والطبلـة ، حفظنـا متـن الـتيس والتميـس ، والكيس والكبيس ، أصبح نشاطنا بزفير وشـهيق ، وتشـجيع للفريق ، وللبواري هدير ونهيق . لا يصلي الفجر منّا إلا قلــة ، ولا يحفظ القرآن إلا ثلة ، ونقـول نحـن أنصـار الملـة مـع العلم أن الاهتمامات دلّة ، وفلّة ، وسلّة ، وشلّة .

المقامَة الأمريكانية

كبارنا منهمكون في القيل والقال ، وحب المال ، إلا من رحم ذو الجلال ، وشبابنا كالأطفال في الروضة ، مشغولون بـآخر موضـة ، ولهـم فـي الملعـب ضـجيج وفوضـة ، عقـل أحدهم كأنه ريشة ، وسلوته السيجارة والشيشة :

رحمــاك فهــل نحــن
موج البحار بدين الواحـد
فــما دهــانا رجعنــا
أشك يا دهر فـي قـومي

فوالذي زين الشمس فـي ضـحاها ، وجمّـل القمـر إذا تلاها ، وحسن النهـار إذا جلاّهـا، مـا أصـابنا التخلـف، ومـا دهانا التوقف، إلا يـوم عصـينا رب العبـاد ، وتركنـا الجهـاد، وكثر فينا الفساد ، كان مؤذننا بلال ، وملعبنا ميدان القتـال ، وقصدنا ذو الجلال ، فمـا أصـبح لنـا طـول ولاحـول ، لأن همنا كمْ سجلنا من قول ، فيا للهول ، بالأمس كان شـبابنا بـالقرآن يفـرح ، وللسـنة يحفـظ ويشـرح ، واليـوم أصـبح

يسرح ويمرح ، مع نجوم الفن والمسرح ، أمـا تنظـر إلـى شعره إذا رصّه، وجعل له قَصَّة ، ثم مسح شفتيه بالمكياج ، ومشى وله ارتجاج ، فكيف لو رآه الحجّاج ، وما ترى لــو دُبِغ بكرباج .

لــو أن للــدهر عينــاً
أوِ أن للصخر قلباً نابضـاً
أزروا بـــأمتهم مـــن
لأجلهم كم سألنا الموت

.. فقالوا لنا : الآن حصحص الحق ، وبان الفرق ، وظهر الصدق . فودّعنـاهم وكـل واحـد منهـم كـأنه فـارة ، وذهبنـا للسفارة ، ثم زرنـا مكتبـة الكـونجرس ، وطرقنـا الجـرس ، فما هو إلاّ وقت يسير ، حتى خرج لنا خواجةٌ يسير ، قلنا لــه : جدمورنج سير ، فدخلنا مكتبةً هائلة ، أدراجها مائلة ، فيهــا كل الفنون ، وملايين المتون، مما تبصرون وما لا تبصرون ، فناولونا هديةً في وعاءْ ، وقالوا : لا تنسونا من الدعاء .

الصفحة الأم بكانة

قلنـا : اللهـم أحصـهم عـددا ، واقتلهـم بـددا ، ولا تغـادر منهم أحدا ، لأنك لو علمت ما صنع الأمريكان ، لاهتزت منك الأركان ، فهي أم إسـرائيل ، وبيـت كـل داء وبيـل ، يسـتعيذ منها أبرهـة صـاحب الفيـل ، ناصـرت اليهـود ، ولـم تعـترف بالحدود ، وما ردعتها القيود ، أمريكا أفتك من هتلــر وتيتــو ، خدعت العالم بالفيتو ، من أطاعها فهـو خـادم مهيـن ومـن عصاها فهو شيطان لعين ، تنظر إلى الأيتـام وهـم يُنقلـون ، وتشاهد اللاجئين وهم يُقتلـون ، ولا تُسـأل عمـا تفعـل وهـم يسألون ، غيرها من خيرها محروم ، وهـي ظـالم فـي ثـوب مظلوم ، تريد أن تكون المنتصرة والعالم مهزوم ، ولكن لها يوم .

ليــت الــبراكين فــي والرعد يا ليته في أرضها
أرجائهـــا رقصـــت خطبا
وليـــت أن صـــدى حتى تصير على أطلالها

الله يمزق سداها ، وينصر عليها عداها ، ويقصر مـداها ، ويظهر رداها ، الله يُخليها من سكانها ، ويقتلعها من مكانها ، ويزلزلها مـن أركانهـا ، فهـي أم الكبـائر ، وجالبـة الخسـائر ادعوا عليها في السجود ، عسى الله أن يلحقها بعادٍ وثمود .

ثم قلنا من بحر الرجز ، بعد أن كَلّ الفؤاد وعجز :

يقـــول عـــائض هـــو
أحمـد ربـي وهـو لـي
مصـلّياً علـى رسـول
مذكراً بالله كل لاهـــي
قـد جئـتٍ مـِن أبهـا
مشـــاركاً لحفلكـــمٍ
وحملتنـا فـي السـمَاء
تطفـح تـارةً وتهـوي
قائدهـِـــا أظنـــه
تـِراه فـــي هيئتـــه
يـا سائل الأخبـارَ عَـنِ
اسـمع رعـاك الله مـِن المقامَة الأمالي
وهـذه أخبـار هـذي
مسـافة السـير ثـلاث
مـن الريـاض عفشـنا
وفـي نيويـورك ضـحى
أنزلنـا فـي سـرعة
ثـم قصدنـا بعدهـا
ثـم ركبنـا بعدهـا
مسـتقبلين جهـة
منزلنـا فـي القصـر

يا كـم لقينـا مـن قبيـح
فـــي بلـــد أفكـــاره
تثقلـــــه بصـــــائر
يقدســـون الكلـــب
ويبصـــرون غيرهـــم
مـــا عرفـــوا اللـــه
ومـــا أعـــدوا لقيـــام
فِهـــــم قطيـــــع
جـــد وهـــزل وضيـــاع
منهـــم أخذنـــا العـــود
ومـــا عرفنـــا نصنـــع
استيـقظـــوا بالجـــد
وبلغـــوا الفضـــاء يـــوم
وبِعـد ذا زرنـــا مبـــاني
فلم نجـــد مســـتقبلاً إلا
الحـــــــــــــرس
المقامَة الأمريكانية
فيهـــا ملايِيـــن حـــوت
في كـــل فـــن إنـــه مـــن
ومعنـــا فـــي صحبنـــا
أكـــرم بـــه مـــع العـــلا
وقـــد صـــحبت شـــيخنا
قـــد صرت فـــي صـــحبته
وصـالح المنصـور مـــن
يشبـــه سعـــداً وأبـــا
وافقـت فيـــهم فالـــح

آنسِـــنا جـــداً وكـــان
ومعنـــا عبـد العـزيـــز
ابـــن عزيـــز صـــاحب
والشـهم عـبد القـادر
ذو القـلم السيـال فـي
فهـو أبونا فـي مقـام
لأننـــا صـــرنا صـــخوراً
ثـــم هبطـــنا فـــي
جلـــودنا فـــي الـــبرد
أيضًـــا وزرنـــا أهـــل
عنـد شبـاب كالنجـوم
بـــالمنقتن أخـــت
كأنهـــا بـاقـــة زهـــر
ولْ كـــمْ حفظنـــاها
بليـــز أي إبليـــس قـــد
جـــــاء لكـــــم
المقامَة الأمريكانيه
والحمـــد للـــه عـــلى
حمـــداً يوافـــي دائمـــاً
ثم صلاة الله مـا هـب
علـــى الرســـول
وبيتـــــــه والآل
والعـذر إن لـم أحســن

المقـامَــة الـنسـائيـــــة

((النسـاء شـقائق الرجـال))

لا أسأل الله تغييـرا نامت وقد اسـهرت
لمـــــا فعلـــــت عينـــــي عيناهـــــا
فإلى ... أطـ... وإلى أقصر شوط

رفقًـا بـالقوارير ، فـإنهن مثـل العصـافير ، لكـل روض ريحـان ، وريحـان روض الـدنيا النسـوان ، هـن شـقائق الرجال ، وأمهات الأجيال ، هـن الجنـس اللطيـف، والنـوع الظريـف ، يلـدن العظمـاء ، وينجبـن العلمـاء ، ويربيـن الحلمـاء ، وينتجـن الحكمـاء ، المـرأة عطـف ، ولطـف وظـرف ، سـبابها سـراب ، وغضـبها عتـاب ، مـن وخطـه المشيب، فليس له من ودهنّ نصيب ، لو جعلت لها الكنوز مهرا، وقمت على رأسـها بالخدمـة شـهرا ، ثـم رأت منـك ذنبا قليلا ، قالت ما رأيت منك جميلا ، القنطار مـن غيرهـا دينـار ، والـدينار منهـا قنطـار ، هـي فـي الـدنيا المتـاع ، والحسن والإبداع ، وهي للرجل لباس ، وفي الحياة إيناس .

وهي الأم الحنون ، صـاحبة الشـجون ، خيـر مـن رثـى وبكـى ، وأفجـع مـن تـألم وشـكى، لبنهـا أصـدق طعـام ، وحصنها أكرم مقام ، ثديها مورد الحنان ، وحشـاها مهبـط الإنسـان ، فـي عينهـا أسـرار ، وفـي جفنهـا أخبـار ، فـي رضاعها معاني الجود ، وفي ضمها الود المحمـود ، قُبَلاتهـا لطفلها صلوات القلـب ، وبـرّ طفلهـا لهـا مرضـاة الـرب ، شبعها أن لا يجوع وليدها ، وجوعهـا أن لا يشـبع وحيـدها ، غيـاب المـرأة مـن الحيـاة وأد للسـرور، واختفاؤهـا فـي مهرجان الدنيا قتل للحبور.

هي بيت الحسب والنسب ، وجامعـة المثـل والأدب ، ذهبٌ بلا امرأة لهب ، وجوهر بلا امرأة خشـب ، تقـرأ فـي نظراتها لغة القلوب ، وتعلم الحب من هجرها المحبـوب ، وبالمرأة عـرف الهجـر والوصـال ، والاتصـال والانفصـال ، والغـرام والهيـام ، والـبراءة والاتهـام ، تقتـل بـالنظرات ،

وتخطب بالعبرات ، كلامها السحر الحلال ، ولفظها العسل السيَّال ، بسمتها ألذ من العنب والتوت ، وهي أسـحر مـن هاروت وماروت ، وقـال نسـوة فـي المدينـة ، كـل مهجـة فهـي لنـا مَدينـة ، وأفضـل النسـوان ، الحصـان الـرزان ، ألفاظها أوزان ، وعقلها ميزان ، إذا تحجّبـت فشـمس فـي غمام ، وظـبي فـي خـزام ، هـي روايـة تترجمهـا الأرواح ، وهي مِسْك تذروه الرياح ، في شفتيها ألف قِصَّـة ، وفـي أعماقها سبعون غصَّة ، ليلـى جعلـت نهـار المجنـون ليلاً ، وصيرت عَزَّةُ دموع كثيِّرٍ سيلاً .

ليلـــي وليلـــى نفـــى
فـــي الطُّـــول والطَّـــول
يجـود بـالطُّول ليلـي
بالطّول ليـلى وإن جادت

على شفتيها المطبقات سؤال ، وفـي جفنيهـا مقـال ، أحرف الحب صامتة على محيّاهـا، وقصـائد الغـرام حـائرة على ريّاها ، حسن الشمس من حسنها ينهار ، والليل مـن شعرها يغار . من النساء خديجـة رمـز الأدب ، لهـا قصـر فـي الجنـة مـن قصـب ، لا صـخب فيـه ولا نصـب ، ومـن النسـاء عائشـة بنـت الصـديق ، صـاحبة العلـم والإتقـان والتحقيق ، المطهرة الطاهرة ، صاحبة السـجايا البـاهرة ، والمحامد الظـاهرة ، ومـن النسـاء فاطمـة البتـول ، بنـت الرسول ، أم السِبْطين ، الحسن والحسين ، سـيدة نسـاء العالمين ، المقبولة عند رب العالمين .

ولـو أن النسـاء كمـــن
لفضِّـــلت النســـاء علـــى
فمـــا التأنيـــث لاســـم
ولا التـذكير فخـــرٌ للهـلالِ

المرأة صحيفة بيضاء ، يكتب فيهـا الرجـل مـا يشـاء ، من حب وعتاب ، وغضب وسباب ، وهي روضـة خضـراء ،

وحديقة فيحاء ، فيها من كل زوج بهيـج ، ومـن كـل شـكل فريـج ، أمضـى سـيوفهن الحـب ، يصـرعن بـه ذا اللُّـب ، الحـازم معهـن ضـعيف ، والعاقـل عنـدهن سـخيف ، تـرى الرجل يصارع الأسود ، ويقارع الجنود ، ثم تغلبه امرأة..!

وترى الرجل يزهد في الحطام ، ويصوم عن الشـراب والطعام ، ثم تصرعه امرأة ، وترى الشجاع يطرح الكماة ، ويهزم الرماة ، وإذا قَصْدُه امرأة .

عنترة فُتِن بعبلة ، فرأى بريق السيوف كثغرها فقاتَل ، ورأى سواد الهول كشعرها فنـازَل ، حضـر جيـش فشـم طيب العطارة منشم ، فيا خسارة من شم ، فصار الجيش بطيبها في هزيمة ، ولأعدائه غنيمة .

المرأة ولو أنها في الخصام غير مبين ، فدمعها أفصح شيء عند المحبين، سِرّ قوّتها أنهـا ضـعيفة ، ولغـز بأسـها أنها لطيفة .

يريد الغرب من المـرأة أن تتـبرج ، وبالفتنـة تتبهـرج ، وعلى الثلج تتزلج ، ويريد الإسلام منهـا العفـاف والسـتر ، والتقوى والطهر، لتكون آية في الحسن والقبول والأسر ، يريد أهل الكفـر منهـا أن تكـون عالمـة فيزيـاء ، وعارضـة أزياء ، ولو فتنت رجالها ، وعقّت أطفالها ، وضيّعت أجيالها ، ويريد الإسلام أن تكون أمينة حصينة ثمينـة ، الأمِـل مـن عينيها يشرق ، والظمأ فـي دمعهـا يغـرق ، والسِّحر مـن بهائهـا يُسـرق ، بكاؤهـا صـرخة احتجـاج ، وصـمتها علامـة الرضا بالزواج ، كان آدم في الجنـة بلا أنيـس ولا جليـس ، فطالت وحشته، وصعبت عليه غربته ، فخلق الله له حـواء ، فتـم بينهمـا الصـفاء والوفـاء، وحسـن اللقـاء ، وجميـل العِشْـرة والاحتفـاء ، فرجـل بلا امـرأة كتـاب بلا عنـوان ، ومُلْك بلا سلطان ، وامرأة بلا رجل صحراء لا نبت فيها ولا شجر ، وروضة لا طلع بها ولا ثمر .

شـكرًا يـا آمنـة بنـت وهـب لقـد أهـديت للإنسـانية ، وقدمت للبشرية ، ابناً تضاءلت في عظمته الشـمس فـي ضحاها ، والقمر إذا تلاها ، ابنـا قـال للوثنيـة وهـي تعـرض تلك العروض، وتفرض تلك الفروض ، والذي نفسـي بيـده

لو وضعتم الشمس في يميني ، والقمر في يساري لن أترك ديني ، حتى يعم القرى والبراري ، ويكفي النساء ، ما أطل صباح وكرّ مساء ، أن محمدًا صلى الله عليه وسلم من امرأة وُلِد ، ومن أنثى وُجِد :

بشـــرى مـــن الغيـــب
وحيًا وأفضت إلى الدنيا
بشرى النبوة طافت
وأعلنتَ في الدنـــا ميلاد
وشـــقّت الصـــمت
تحت السكينة من دار إلى

المقامَة النسائيّة

قدَّمت المرأة للعالم الخلفاء الراشدين ، والأبطال المجاهدين، وعباقرة الدنيا والدين ، المرأة إذا حسّنت آدابها ، وطهّرت جلبابها ، ملأت القلب حنانا ، والبيت رضوانا ، والدنيا سكنًا وعرفانا .

والبيت بلا امرأة محراب بلا إمام ، وطريق بلا أعلام، إذا اختفت المرأة من الحياة ، اختفت منها القبلات والبسمات ، والنظرات والعبرات .

وإذا غابت المرأة من الوجود غاب منه الإخصاب والإنجاب ، والكلمات العذاب ، والعيش المستطاب .

في الحديث : ((تزوجوا الودود الولود)) ، والسر في ذلك لتكثر الحشود ، وتزداد الجنود ، وليكاثِر بنا رسولنا صلى الله عليه وسلم يوم الوفود .

يوم تخلع المرأة الحجاب ، وتضع الجلباب ، فقد عصت حكم الإسلام ، وخرجت على الاحتشام ، وقُل على العفاف السلام .

كيف يُسكن بيت بلا أبواب ، ويُحل قصر بلا حجاب ، ويُشرب ماء ولغت فيه الكلاب، من حق الدرة أن تصان ، ومن واجب الثمرة أن تحفظ في الأكنان ، وكذلك المرأة بيتها أحسن مكان ، ولكن المرأة إذا قلبت ظهر المجن ،

وعرّضت نفسها للفتن ، فهي ظالمـة فـي ثـوب مظلـوم ، عندهن من أصناف المكر علوم .

كيد الشيطان ضعيف وكيدهن عظيم ، وقـوتهن واهيـة لكـن خطرهـن جسـيم ، هـن صـويحبات يوسـف ذوات السـكاكين ، وقـاهرات الرجـال المسـاكين ، حـتى قـال الرشيد في بعض النشيد :

مالـــي تطـــاوعني
وأطيعهـــن وهُـــنَّ فـــي

فاجعـل بينهـن وبيـن الشـر لهبـا ، واملأ عليهـن منافـذ الفتنة حرسًا شديداً وشهبا ، فلا تَعرض اللحم على البـاز ، ولا تنشـر القمـاش علـى البـزّاز ، فـأنعم بحراسة السائر والصيانة ، وأكرم بحجاب العفاف والحصانة .

وإذا رزقـت بنـات ، فـإن هـن مـن أعظـم الحسـنات ، حجـاب مـن النـار ، وحـرز مـن غضـب الجبـار ، فاحتسـب النفقة ، فإنها صدقة ، ولو أنه غرفة من مرقة ، وتعاهدهن بالبر والصـلة ، فـإن رحمتهـن للجنـة موصـلة ، وكفـاك أن الرسول المشرّع ، رزق ببنات أربع .

والمرأة هي بطلة الأمومة ، ومنجبة الأمة المرحومـة ، فضائلها معلومة ، وهي معدن الحسب والكرم والأرومة.

وتعليمها الدين مـن أشـرف خصـال الموحـدين ، لأنهـا تصـبح لكتـاب اللـه تاليـة ، ذات أخلاق عاليـة ، تتفقـه فـي الكتاب والسنة ، لأنهما أقرب طريق للجنة .

وأما علاَّم الكفـر ، الـذي أعـان المـرأة علـى المكـر ، وصرفها عن الذكر والشكر ، فهو المسـؤول عـن عقوقهـا وتضييعها لحقوقها ، وإصرارها على معصيتها وفسوقها .

جعلوا المـرأة سـلعة للدعايـة والإعلان ، وخطيبـة فـي البرلمان ، تشارك في التجارة ، وتقاتل الجنـود الجـرارة ، جعلوها جندي شرطة ، فوقعت من الإحـراج فـي ورطـة ، تمتطي الدبابة ، وتطارد الكتائب في الغابـة ، يُسـتدَر بهـنّ عطف الجبابرة ، وتـبرم بهـنّ الخطـط المـاكرة ، ويكفيـك

فـي ضـلالهم ، وسـوء أعمـالهم ، أن الهدهـد وهـو طـائر ممتهن ، أنكر على بلقيس حكم اليمن ، وامرأة خلقها الله لمهمة ، كيف يزج بها في أمور مدلهمّة .

ونحن الرجال أسندت إدارة الحياة إلينا ، وكتب القتـل والقتال علينا ، وأما النساء في الإسـلام فمقصـورات فـي الخيام ، محفوظات من اللئام ، مصونات عن الآثام .

وماذا فعل بالمرأة سقراط وبقراط وديمقـراط ، أهـل الأوهـام والأغلاط ، جعلوهـا شـيطانة ، وسـموها الفتانـة ، وإنما هي في بعض الأوقات قهرمانه ، وريحانة .

أما الفُرْس ، البكم الخُـرْس ، فجعلوهـا خادمـة للمـال والنفس ، بل قال بزر جمهور: المـرأة ليسـت بإنسـانة فلا تمول ولا تمهر ، وهذا غاية التهور .

أمـا أهـل الوثنيـة ، ودعـاة الجاهليـة ، فحرموهـا مـن الميراث، حتى جعلوها أرخص من الأثاث ، ووأدوا البنـات ، وقتلوا الأخوات ، وعقّوا الأمهات ، وليس لها عندهم قيمـة ، فهـي فـي منزلـة البهيمـة ، فهـي عنـدهم حـق متاع، للخدمة والمتاع .

أمـا الغـرب فهـي عنـدهم للمغريـات ورقـة رابحـة ، أبرزوهـا فـي صـور فاضـحة ، أخرجوهـا بلا أدب ولا ديـن ، وعرضوا صورتها في الميادين ، باعوها في سوق النخاسـة ، ووظفوهـا للرجـس والخساسـة ، وأقحموهـا مغـارات السياسة .

وما كرَّم النسـاء ، مثـل صـاحب الشـريعة السـمحاء ، والملة الغراء ، فقد بيّن بقوله ، ((خيركم خيركم لأهلـه)) ، ويا معاشر الأمم هـل عنـدكم ، حـديث ((اللـه اللـه فـي النساء فإنهن عوان عندكم)) .

وكان في بيته صلى الله عليـه وسـلم أفضـل الأزواج ، دائم السرور والابتهاج ، يملأ البيت أنسًـا ومزاحـا ، وبشـرا وأفراحا ، طيّب الشذى ، عـديم الأذى ، لطيـف المحشـر ، جميل المظهر ، طيب المخبر ، لا يعـاتب ولا يغاضـب ، ولا يطالب ولا يضارب ، يـؤثر الصـفح علـى العتـاب ، والحلـم

على السباب . ومن حبه للبنات ، وعطْفِه على الضـعيفات ، يحمل أُمامة ، وهو في الإمامة ، فإذا سجد وضـعها ، وإذا قام رفعها ، وكان يقوم لفاطمة الزهراء ، والدرة الغـراء ، ويجلسها مكانه ، ويطـأ لهـا أركـانه ، فكـأن سـرور الحيـاة صب عليها ، وكأن الدنيا وضعت بين يديها .

هِي بنـت مَـنْ هــي أم
من ذا يسـاوي فـي الأنـام
أمـا أبوهـا فهو أشرف
جبريـــل بالتوحيـــد قـــد
وعلـــيٌّ زوجٌ لا تسّـــل
سيـفٌ غدا بيـمينـه تيَّـــاها

وكان يجلس صلى الله عليه وسلم للنساء من أيـامه ، فيفيض عليهن من بره وإكرامـه، وجـوده وإنعـامه ، فكـأنه الغيث أصاب أرضًا قاحلة ، والماء غمر تربـة ماحلـة، فـإذا هو يملأ القلوب حبّا ، والنفـوس أنسـاً وقُربـا ، يبشـر مـن مات لها ولد بالنعيم المقيم ، فتتمنى كل امرأة أنها هي لها فطيم ، لِما سمعت من الأجر العظيم .

وُيخبر مـن تطيـع بعلهـا ، وتُحسِـن فِعْلهـا ، بـأن الجنـة مأواها ، والفردوس مثواهـا ، يقـف مـع المـرأة الشـاكية ، ويتفجع للأنثى الباكية ، فلو كانت الرحمة في هيكل لكانت في مثاله ، ولو الرفق في صورة لكان في سرباله ، تـأتيه المرأة المصابة في خوف وهـول ، وفـي دهـش وذهـول ، فما هو إلا أن تـرى إشـراق جـبينه ، ويُسـْر دينـه ، ولطفـه المتناهي ، وخلقه الباهي، حتى تعود عامرة الفؤاد ، حسنة الفأل والاعتقاد .

مقـامَــةُ الـحـيّــل

((ولتعرفنـهم في لحـن القـول))

دهاء يريك الغيب في وفهـم كحـد السـيف
ثـــــوب حاضـــــر أمضـــــى وأصـــــوبا
إذا ظن ظنّاً صار فيزاً ولاقى الحق ولاً صار

إذا رأيــت الرجـل يعتـاد المقـاهي ، لشـرب الشيشـة والشاهي ، ومجالسة كـل لاهـي ، فـاعلم أن الرجـل فاسـد الإرادة ، ظاهر البلادة ، لا يساوي جرادة ، ولن ينفع بلاده .

وإذا رأيت الرجـل ليلـة الـزواج ، وهـو فاسـد المـزاج ، يبحث عن علاج ، ويقول فـاظفر بـذات الـدين ، فـاعلم أنـه ظفر بعابسة الوجنتين ، خشنة اليدين، كـل مـا فيهـا شـين ، وإذا رأيت الرجل خـرج مـن عنـد القاضـي وهـو يتلـو : ومـا شهدنا إلا بمـا علمنـا ومـا كنـا للغيـب حـافظين ، فـاعلم أن القاضـي ردّ شـهادته ، وهـو لـه مـن الغـائظين ، وإذا رأيـت الرجل يجلس في الملهى يقرأ جريـدة ، أو ينظـم قصـيدة ، فاعلم أن حياته غير سعيدة ، أو أنه يبحث عن وظيفـة ، ولـو سخيفة ، وقد تقطعت به الحبال ، وخابت منه الآمال .

وإذا سمعت الرجل ينشد كثيرًا قول الشاعر :

ومـــن لـــم يـــذدعن
يهـــدم ومـــن لا يظلـــم

فاعلم أنه جحد لأخيه فلوسا ، وحلف عليها يميناً غموسا ، وإذا سمعت الرجل يردد كثيراً قوله تعالى .

وإذا رأيت الرجل خرج من بيته غاضباً وهو ينشد :

أنـــا ابـــن جلاّ وطلاّع
مـــتى أضـــع العمامـــة

فاعلم أنه زوجته ضربته ضرباً مبرحا ، وهـو يُعرِّض لئلا يكون مصرّحا .

وإذا سمعت الرجل يقول كـثيراً الـدنيا ملعونـة ، فـاعلم أنـه ذكـر ديـونه ، ومـا وجـد مـن أحـد معونـة ، وإذا سـمعت الرجل يكرر الآية وقليـل مـن عبـادي الشـكور ، فـاعلم أنـه طلب قرضاً من رجل فاعتذر منـه فأخـذ يعـرّض بالمـذكور، وإذا سـمعت الرجـل يـردد الـدنيا لا تسـاوي جنـاح بعوضـة، فـاعلم أنـه طلـب مـن التجـار قرضـاً فرفضـوا إلا بِرهـانٍ مقبوضـه ، وإذا سـمعت المحاضـر يـردد فـي محاضـرته : الحديث شيِّق ، ولكن الـوقت ضـيق ، فـاعلم أنـه مـا حضَّـر للمحاضرة ، وقد كدَّ ذهنه وخاطره .

وإذا سمعت المفتي يكرر كـثيرًا : لا تسـألوا عـن أشـياء إن تبد لكـم تسـؤكم . فـاعلم أنـه قـد احتـار فـي الجـواب ، وخفي عليه الصواب .

وإذا سمعت الموظـف يستشـهد بقـول الشـاعر : لكـل شيء إذا ما تم نقصان ، فاعلم أنه قد فصل من عملـه وهـو حاقد غضبان .

وإذا رأيــت الرجــل يكــثر مــن قــول فســد الشــباب ، وأصبحت أخلاقهم كأخلاق الكلاب ، فـاعلم أنـه مـا عنـده إلا بنات ، وهو يتمنى الأولاد من سنوات .

وإذا رأيت رجلاً وقد ذكر عنده أحد الـدعاة ، الـذي نجـح في دعوته ومسعاه، فقال هذا الرجل . أهم شــيء الإخلاص لله في القول والعمل ، ومراقبة اللـه عـز وجـل، فـاعلم أن الحسد قد أكل قلبه ، وضيّع لبّه .

وإذا سمعت الرجل يحمد الله علـى أنـه لا يشـعر بجـوع وظمـأ وتعـب ، وأن الصـائم لا يشـعر بنصـب ، فـاعلم أنـه صـائم، فهـو يُلمِّـح لـك لتكـون بصـيامه عـالِم، وإذا سـمعته يخبرك بأن الليل طويل أو قصير ، ويخبرك أن الناس وقعـوا في التقصير ، وتركوا القيام وهو سنة البشير النذير ، فاعلم أن الرجل في الليلة الماضـية قـام يصـلّي ، ولكنـه يريـد أن يوضّح لك الأمـر ويجلّـي . وإذا رأيـت الشـاعر كـل سـنة لـه

ديوان ، ويهدي شعره على الإخوان ، ويلقـي قصـائده علـى الجيران ، فاعلم أن شعره لا يَهزُّ شَعْرَة ، ولا يساوي بَعْـرة ، وإذا سمعت المتحدث يقول ما كنت أرغب الحديث إليكـم ، ولا أريد أن أطيل عليكم ، فاعلم أنه مـا عنـده كلام يريد أن يتخلص من المقام .

وإذا رأيت الرجل يكثر من قوله : نحن في نعم وخيرات ، وفي رغد ومسرات ، فاعلم أنـه قريـب عهـد بمـال ، أتـاه هديةً أو بسؤال ، أو مُنِح أرضاً في الشمال .

ومـن يكـثر كـل يـوم مـن العنـاق ، وذكـر الاشـتياق ، والسؤال عن الأهل والرفاق، فاعلم أنه ثقيل ، وعذاب وبيل ، فما لـك إلا البعـد عنـه والرحيـل، وإذا سـلّمت علـى رجـل فقال : من أنتم ، وأين كنتم ، فاعلم أن الرجل فيه إعجاب ، وكبر على الأصحاب ، وإذا رأيت الرجـل يكـثر علـى طعـامه من الترحيب والتبجيل ، ويعتذر بأنه قليـل ، فـاعلم أنـه بخيل .

وإذا سـمعت المتكلـم يتفصـح ، ويتبجّـح ، ويقـول : إن الحقيقة تنطلق من أطر، وتنبثق مـن بوتقـة ، وتنصـهر فـي قوالب ، وتلعب دوراً ، فاعلم أنه قليل بضاعة ، مـا مَـدَّ إلـى العلم باعه ، وإذا سـمعت الرجـل يكـثر مـن قـوله : النـاس معادن وأصول ، وفي الأنساب فاضل ومفضول ، فـاعلم أن الرجل أباه شيخ قبيلة ، وهو لا يسـاوي فتيلـة ، وإذا سـمعت من يُسأل مسائل في الشريعة ، فيجعل الاحتياط له ذريعة ، فاعلم أنه قل علمه ، وبرد فهمه .

- من جاور المسجد فهجره ، واسـتفاد مـن العـالم ومـا شكره ، وأخذ المعـروف وكفـره فهـذا رجـل مخـذول ، عقله مدخول ، وقلبه مخبول .
- إذا رأيـت الرجـل يكـثر مـن تـاء المتكلـم فيقـول : دخلت ، وخرجت ، وقرأت ، وكتبت ، ولقيت ، وقابلت ، ودعيت ، وزرت ، وقلـت ، وألفـت فـاعلم أنـه أحمـق ، وكلامـه غيـر محقـق ، لكنـه متفيهـق ، متشـدّق ، متمنطق .

إذا رأيت الطالب يقول : ليس العلم بحفـظ المتـون ، ولا بجمع الفنون ، فاعلم أن ذاكرته في الحفظ تخون .

مقـامَــة الحـيــوان

 وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاْ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ

قال الراوي : فحدثنا عن عالم الحيوان ، فلعلك قرأت للجاحظ صاحب البيان ، قلت : سمعًا وطاعـة ، والجـاحظ صـاحب فصـاحة وبراعـة ، فاسـمعوا وعـوا ، وفـي ريـاض الذكر فارتعوا . اجتمعت الحيوانات ، في بعـض الأوقـات ، فقـالوا للحمـار ، يـا المغـوار ، أنـت بطـل الـدار ، وحمّـال الأثقال الكبار ، فحدثنا عن الدنيا الدنيّة ، قبل حلول المنيّة ، فانتحب الحمار وبكى ، وإلى إخوانه شكى ، وقـال : مـن عنده ستون صاعًا من شعير ، وتبن كثير ، فلا يأسـف مـن الدنيا على صغير ولا كـبير ، فـأطرقوا خاشـعين ، وأنصـتوا سـامعين ، وشـكروه أجمعيـن ، ثـم قـالوا : مـن علمـك الحكمة يا أبا المغوار .

قـال : أنتـم لا تعرفـون السـبب ولـذلك طـال منكـم العجـب ، أنـا سـافرت فـي طلـب الحكمـة إلـى الهنـد ، فأخطأت الطريـق إلـى السـند ، فلمـا قصـدت السـند مـع أصدق رفيق ، ضللت الطريق ، فوقعنا في غابـة ، فـأكلت نبـات الـروض وأعشـابه ، فلمـا شـبعت رجعـت ، ونسـيت لمـاذا سـافرت ، ولأي سـبب غـادرت ، فلهـذا صـرت مـن الحكماء ، لكثرة من لاقيت من العلمـاء ، فقيـل لـه يـا أبـا المغوار ، ومن لاقيت من العلماء الكبار .

قال لقيت عالمًا نسيت اسمه ، وضيّعت رسـمه ، هـذا العالِم يسكن في صنعاء عاصمة باكسـتان ، ولـه ابـن فـي الخرطوم إحدى مدن أفغانستان ، وهذا العـالم تـزوج مـن عمان ، وهي قريـة مـن قـرى إيـران . فقـالوا لـه : يـا أبـا المغوار عافاك اللـه مـن العيـن، وسـلّمك مـن الـدَّين مـا ندري هل نعجب من حسن نطقك ، أو من سعة حفظك .

فقال : من سهر الليالي ، نال المعالي ، قـالوا : زادك الله علماً ، ورزقك فهماً ، فما هي أمنيّتك في هـذه الـدنيا القصيرة ، فإنك صاحب بصيرة .

فقال : يا ليت لي حقل من برسيم ، فـأقع فيـه وقعـة والي مال اليتيم ، فأجعله كالرميم، ثـم بكـى حـتى ذهبت عيناه ، وقال : يا سعادة من نال مناه .

ثم أنشد :

مـــن يـــذم الشعيـــر
فهـو بالذم والملام جديــرُ
هِـو عنــدي ألــذُّ مــن
ليـــت أن الجبـــال تلـــك

فبكـى الجماعـة ، ورامـوا وداعـه ، فانصـرف الجمـع ، وبُل الخد بالدمع .

ثم قال الراوي : حدثونا يا أهـل التهـذيب، عـن الـتيس والذيب ، لنأخذ من الحكمـة بنصـيب ، فقلنـا : مـر الـذئب والتيس على منزل ، فقالا : يا جبان انزل ، فقال الـتيس : قاتلك الله يا إبليس ، يا ابـن الذيبـة ، وسـلالة الخيبـة ، يـا قليل الهيبة ، فقال الذيب : عجيب ، متى جاءتك الشجاعة ، يا رمز اللؤم واللكاعـة ، أنسـيت يـوم أكلـت عمـك قبـل عامين ، وقتلت لك ولدين ، ما غرك إلا محلـك ، وإلا فـإنه معروف ذلك .

فـإن كنـت صـادقًا ، وبـالحق ناطقًـا ، فـاهبط إلـى الميدان، لأجعلك طعامًا للديدان ، فـردّ عليـه وهـو يقـول ، ويصول ، وفوق السقف يجول : اخرس يـا خسـيس ، فأنـا التيس ابن التيس ، فلو قاتلت بالقرون ، لطرحتك والناس ينظرون ، ثم أنشد :

قرونــي كالرمـــاح إذ
كمـــاة فـــي الحـــروب
أنا ابن الأكرميــنّ أبـاً

فقل للقـوم هيَّـا جرِّبـونـا

فقال الذئب : خبرك لديّ ، ولكن منصبك شجعك عليّ ، فليت الأيام تدور ، فإن الدهر عَـرور ، والزمـان عَثـور ، لترى يا جبان ، قيمة الشجعان .

ثم أنشد الذيب ، وفي صدره لهيب:

يـا تيــس ليــت لنــا
فيــه ليعـرف هزلنــا مـن جِـــــــــــــــــدِّنا

فــإذاً لعـرّفنــاك أنـّا
نِلنــا المكــارم كـابراً مـِن

فقالوا : حـدثنا عـن الصـيّاد والحمامـة ، يـا أبـا أمامـة، فأنت في أخبار الحيوان علاّمة ، قال : خرج الصـيّاد ، وقـد وضع يده على الزِّناد ، يريد أن يصطاد ، ففـارق أصـحابه ، ودخل الغابة ، وخلع جلبـابه ، ومـدّ النظـر ، بيـن الشـجر ، وقال اللهم اتحفنا بصيد ، إنك تعلم مـا نريـد ، فكـان كلّمـا مرّ به سرب من الطيور ، يـأبى أن يقـع لأنـه يـرى الرجـل يدور ، والطير صاحب حـذر ، ودقـة نظـر ، لا يغـتر بكلام ، ولا يخدعه سلام ، ولا يركن إلى عهد، ولا يثق بوعد ، وهذه صفة الذكي الأريب ، والداهية الأديب ، أما الأحمـق ، فـإنه على كل صخر يسحق ، وبالأسرار يتدفق ، وفي مــذهبه لا يترفق.

فلما أيس الصياد ، صاح : يا حسرة على العباد ، حـتى الطير ، أصبح يشك في الغير ويظن ظن السوء فـي أهـل الخير ، ثم أنشد :

وهــل مثــلي يخــونٍ
إذا أعطــى ويحنــث فــي
فلـــو أن الحمامـــة
وَفيــت ولـو أقـامت فـي

ثم نادى الصياد : يا أيتهـا الطيـر ، أنـا رجـل مـن أهـل الخير ، اهبطي يا جند سليمان ، ولك الأمان ، فأنا مشـتاق لكِ من زمان ، فردّت عليه ، ونظرت إليه ، متى كـان لـك عهد وميثاق ، يا كثير النفاق ، كيـف نصـدقك ، وقـد قتلـت أمهاتنـا بالرصـاص ، بلا قـود ولا قصـاص ، ومـتى تركـت العادة ، يا من أمسك زناده .

فقال الصياد : تبنا إلى رب العباد ، وتركنـا عـادة أهـل الفساد ، وندمنا على ما سـلف، وسـوف نغـرم مـا تلـف ، فانزلن مأجورات مشكورات ، وبالخير مذكورات .

فقـالت الطيـر : كلا يـا عنيـد ، يـا ذا البـأس الشـديد ، فأنت عندي كـذّاب مريـد ، ثـم ذهـب الطيـر ولـم يهبـط ، وأسرع ولم يسقط ، فأيس الصيّاد وملَّ ، وهـمّ أن يرتحـل ، وأن يترك المحل ، فصاحت الحمامة الحمقاء ، تردد قـاء قاء ، وتقول يا صياد لست أنا هنا ، فلا تشغلك المنـى ، ولا تكثر من العنا ، وأنشدت تقول :

يـا أيـها الصياد لست هنـا

فارحل ودع عنك المشـقة

لـو كنـت عنـدك يـا أخـي

وكـذاك أنـت فلست أيضًـا

فالتفت فرآها ، فسدد رميته ورماها ، فقتلها وأدماها ، وهذا جزاء من نشر الأسرار وأفشاها ، ولم يجعـل صـدره منتهاها .

قـالوا: فحـدثنا عـن الـدجاج والثعلـبين ، فقـد صـرنا بحديثك معجبين .

فقـال : قصـص النبلاء ، تخفـف كـل بلاء ، وسـير الصالحين ، سلوة في كل حيـن ، وقـد مـرّ ثعلبـان ، وهمـا يلعبان ، بجماعة من الدجاج ، داخل شبك مـن سـاج، قـال أحدهما لصاحبه ، وهو يحاوره ، والتفت إليه وهو يسايره ، ما رأيك في حيلة ، تكون لأكل هـذا الـدجاج وسـيلة ، فـإن الخديعة ، لأجدادنا شـريعة ، وهـذا زمـان المـاكرين ، وقلـة

الشاكرين ، وكما هـو مكتـوب فـي لوحـة مـن إبريـز ، لشكسـبير شاعر الإنجليز ، حيث يقول :

احتــل لنفســك فــي

أظهـر لمـن تنـوي الـردى

واخــدع فــأنت بأمــة

فنفوسـهم عنــد العطــاء

فــالمكر فيهــم سـنة

يسعـــون للدنيـــا بكـــل

فقال الثعلب الصغير للكبير : يا أبا منيـر ، يـا مرشـدنا في كل أمر خطير ، تقدم وتكلم فمنكم نتعلم ، فأنت فـي الخير إمام ملهـم ، فتقـدم الكـبير وقـال : السـلام عليكـم أيتها الدجاج ، أنا أبو منير وهذا أبو الحجاج ، وكلنا للآخر محتاج .

فقالت الدجاج : لا سلمك الله يا محتال ، يا كاذب فـي الأقوال ، يا سيئاً في الأعمال ، فرد عليها وقـال : اسـتغفر الله لي ولكم من الذنوب، وأعوذ بالله من العيـوب ، فـإنه مقلب القلوب ، ماذا سمعتم عني ، وماذا دهاكم مني .

قالوا : أليس أبوك قتل أبانا ، وأخوك قبل عامٍ سبانا .

فقـال : ومـا شـأني بـأبي إذا ضـل ، وبـأخي إذا زل ، فالولد لا يحمل وزر الوالد ، واللئيم لا يعدي الماجد .

فقالوا : الغـدر فيكـم طبيعـة ، والمكـر لكـم شـريعة ، وتاريخكم مليء بالأخبـار الفظيعـة، فقـال : لسـت بـراض عما صار ، وأعوذ بالله من عمل أهل البوار ، جعلهـم اللـه وقود النار.

ثم أنشد :

لزمـــت المصـــلّى

وتبـتَ إلـى الرحمـان مـن

وألزمـــت نفســـي

وأشــغلت بــالإخلاص يــا

فلما سمعت الدجاج قول الثعلب ، قلنا : أظنـه جـاد لا يلعب ، صادق لا يكذب ، فاسألوه ماذا يريد ، بهـذا النشـيد والقصيد .

قال أريد أيها الدجاج ، أن تفتحوا لي وأخي باب الساج ، لنطيل معكم السمر ، في ضوء القمر .

فقالوا أعطنا اليمين ، أن لا تروغ علينا ضرباً باليمين .

فقال : والذي نصرنا عليكم بالحيلة ، وفتح علينـا بكـل وسيلة ، لا نترك عادتنا ولو حال بيننـا وبينكـم قبيلـة ، فمـا فهموا يمينه ، وما عرفوا دينـه ، ففتحـوا البـاب ، وقـالوا : مرحباً بالأحباب ، وخيرة الأصحاب ، فلما دخل هو وأخوه ، ردّوا الباب وأغلقوه ، فلمـا سكنّا ، جلسـنا وتمكّنـا ، فلمـا أظلم الليل ، وحضرت ساعة الويل ، وبان الفجـر وحـان ، وقعا في الدجاج يذبحان ، فصاح الدجاج : قيط قيط ، مـا هذا يا عبيط ، الله من وراءكم محيط ، فقـال الثعلـب: لـو ملأتم الدنيا قرقرة ، حتى سمعكم أهل أنقـرة ، مـا كففنـا عنكم حتى نرى مهجكم معقّرة ، فأنشـدت دجاجـة تقطـر دمًا ، إذ أصبح جسمها مهدمًا .

مقامَة الحيوان

واحســـرتاه كيـــف

ومكـــره بيـــن البرايـــا

هـذا جـزا مـن صـدق

وأمِـن الرفقـة والأصـحابا

وصـــاحب العقـــل

مُـهيّئًا لخصـمه مخـالبـــه

فضحك الثعلب وقال :

مـــوتي بغيظـــك يـــا

كيـــد الحســـود وناصـــر

رأيـــي تقـــدم فـــي

والــرأي قبــل شجاعــة

فلما شبع الثعلبان ، وقاما يذهبان ، فإذا الباب مغلـق ، والشبك مطبق ، فإذا كل منهما مطرق ، فقـال كبيرهمـا : وقعنا في بليّـة ، وأظنهـا دنـت منـا المنيّـة ، فكيـف لـو أن صاحب الدجاج أبصرنا ، لقصدنا بالرصاص وأمطرنا ، فقال الأصـغر للأكـبر ، أنـت أبـو الـدواهي ، مرتكـب المنـاهي ، طويل الباع ، في الحيل والخداع ، فأخرجنا منها سالمين ، فإن عدنا فإنا ظالمين . فصمت الأكبر ، وتأمل وتفكر ، ثم هلّل وكبر ، وقال لصاحبه: علينا أن نغمض العيون ، وننفـخ البطون ، وننام فمن رآنا قال ميّتون ، فإن الناس أكـثرهم لا يعقلون، ولا تغـرك الصـور ، فـإن أكـثر مـن تـرى بقـر ، فقال الأصغر : لا فض فـوك ، وفـداك شـانئوك . ثـم نامـا كأنهم أموات ، وهجعا في سـبات ، فجـاء صـاحب الـدجاج فما وجد من دجاجة إلا الريش فصـاح : إيـش هـذا إيـش ، والله لا طاب بعدها العيش ، ثم نظر إلى الثعلبين ، وقــال : شــاهت الوجــوه الكاذبــة ، العاملــة الناصــبة ، الناهبــة السالبة ، فلو كنتما أحياء ، لأسـلت منكمـا الـدماء ، جـزاءً على فعلتكم النكراء ، لكن سبقني الموت عليكم ، وأسرع الفناء إليكم ، فسبحان اللـه المـوت أعجـل ، ثـم سـحبهما بالأرجل ، فلما رآهما في الوادي ، واستشهد على موتهمــا أهل النـادي ، قامـا مُسـرعَين ، وهربـا ضـاحكين ، والتفتـا منشدَين . فقال الأكبر :

أغــبى مــن النــاس
إلا القلّيـل فلا تحفـل بهم
همِ كذبوا رسـل اللــه
تريـد منهـم علـى طــول
أمــا تراهــم وهــذا
لاهين في الأرض لا تأنس

وأنشد الأصغر فقال :

لا تثـق يـا صــاح فـي

فالغبــا والجهــل فيــهم

هم عصــوا خــالقهم

وهــو المنعـم والكـافــي

فقال صاحب الدجاج : أظن أنّا تورطنـا ، فيـا حسـرتنا على ما فرطنا .

قالوا : فخبرنا عن قصة الثيران والأسد ، فما سمعناها من أحد .

فقال حباً وكرامة ، وحق الصـاحب كالغرامـة ، ونعـود للحديث عن الحيوان والعود أحمـد ، ومـا يطلـب العلـم إلا كل أمجد ، فكان هناك ثلاثة ثيران أبيـض وأحمـر وأسـود ، يرعون بجانب الغدير ، وكل واحد منهـم كـأنه وزيـر ، فـي منصـب خطيـر ، فمـر بهـم الأسـد أبـو أسـامة ، فعرفهـم بالعلامة ، ودعا لهم بالسلامة ، وقال كيف الحال يا إخـوان ؟

قالوا : بخير يا خوّان ، فقال : علام هذا السب علامـا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، فقالوا يا أبا حَيْـدرة : كل يعرف بيدره ، أنسـيت كـم أكلـت منـا مـن ثـور ، يـوم ساعدك الحظ العَثور ، ثم أنشد الثور الأبيض فقال :

لا تـأمن الليــث أبــا فإنــه ســلّ لنــا
أســامــــــــــــة حســامَ مقامَة الحيوان**ــه**
وفِــرّ منــه فهــو لا وذكره قد حـاء فـى

ثم ارتجل الثور الأحمر منشدًا فقال :

أشجع كـل الكائنــات

ســمَّاه ربـي فـي الكتـاب

فقلبــه فــي الــروع

لطـالــما أقســم عمــدًا

فقام الثور الأسود وأنشد :

هـذا الهزبـر ملك في
كشّر للمـوت مصرًّا نـابَـه
تبَّـت يـــدا مـــن أمَّـه
ويـل لمـن عانـده وقاتلَـه

وكلما أقبل عليهم الأسد ، ولِقتْلهم رصد ، أقبلوا كلهـم إليه ، وتجمعوا عليه ، والوحدة قـوة ، وهـو رمـز الأخـوة ، والكثرة تغلب الشجاعة ، والاتحاد دليل البراعة، فلما أيس من الثيران ، لجأ لبعض الغيران ، ووضع رأسه على عود ، وزئيره كالرعود .

وأنشد يقول :

أنا الذي أرهب الدنيـا
ولـــم أخـــف عنـدما آتـى
واليـــــوم تغلبنـــــي
يا جاهلاً عـن ثبـات الليـث

فليس لي حيلة في هذه الطائفة ، التي صارت بالألفـة غير خائفة ، إلا أن أشتت قلوبهم ، وأظهر لبعضهم عيوبهم ، وآخذ كل واحـد علـى حـدة ، وأعـده عـدة ، لأتـرب يـده، فجاء إلي الثور الأسود والأحمر ، في ليل مقمر ، وقال يـا قوم ، رأيتكم اليـوم ، وأنتـم فـي الـروض ترعـون ، وإلـى الغدير تسـعون ، فرأيـت الثـور الأبيـض يسـبقكم ، وبعيـن الحسد يرمقكم ، يستأثر عليكم بنبت السماء ، ويزاحمكـم على الماء ، فماذا ترون ؟ أفلا تبصرون، قالوا : جزاك الله خيراً على النصيحة ، يا صاحب اللغة الفصيحة ، والكلمات المليحة ، فأمرنا بما ترى ، وقد خـاب مـن افـترى ، فقـال في نفسه : وقع القوم في بلّية ، وحانت منهم المنّية ، ثـم طلب منهم الوثوب إلى الثور الأبيـض جميعًـا ، حـتى يـرى صريعًا ، فقاموا على حرْدٍ قـادرين ، وللمـوت مبـادرين ، فنـــاطحوا الأبيـــض وحاصـــروه، وصـــارعوه وحـــاجروه ، وبالعداوة كاشروه ، ثم طرحوه أرضا ، ورضّوه رضّا.

فلما أحسّ بالموت ، وأيقن بـالفوت ، وفـاته القـوت ، قال :

هــذه الحيلــة مــن
يـوم يلقـانا ببغـي وحسـد
مصرعــي مصــرعكم
غيـر أن الـرأي منكـم قــد

فلما مات الأبيض سر الأسد وفرح ، وسـعد وانشـرح ، ثم تركهم لزمن يسير ، وهو يقـودهم لسـوء المصـير ، ثـم أتى إلـى الثـور الأسـود ، وقـال يـا أبـا أسـعد : هـذا الثـور الأحمـر ، أظنـه مغـتر ، يخفـي لـك الشـر ، أراه بقرونـه يناطحك ، وبالعداوة يصـارحك ، فمـاذا تـرى لـو عاونّـاك ، ومــن ظهــره مكنّــاك ، لنشــق نحــره ، ونفــري ظهــره ، فسحباه إلى الغدير ، وليس له من ولـيٍّ ولا نصـير ، فلمـا أصبح في آخر رمق ، وفؤاده يحترق ، أنشد :

يا عثــرة الــرأي هــذي
ويا حيـاتي هــذي سـاعــة
يــا فرقــــة مزقتنــــا
صرنا بها ضحــكة للعــرب

فبقـي الأسـود والأسـد ، فقـام الأسـد وقعـد ، وقـال : كيف حالكم ، يا رفيق السعَد ، ويا زينة البلد ، فقـال بخيـر يا أبا أسامة ، أدركنا من السرور تمامه .

فقال الأسد : يا غاية المنـى ، بقـي أنـت وأنـا ، ونريـد اليوم غدًا هنا ، قال الرأي لك يا ملك الحيـوان ، مقامَة الحيوان الجنان.

فقـال لـه الأسـد : اقـترب منـي لأناجيـك ، وادن منـي لأشاجيك ، فأدنى من الأسد الراس ، وكتم على الأنفاس ، فأنشب الأسـد فيـه أنيـابه ، ومـزق جلبـابه ، وخلـع ثيـابه ، وقال : ذق يا ابن البقرة ، يا سلالة الفجرة ، عليك غـبرة ،

وانفـرد الأسـد ، فـي البلـد ، وعلـى كرسـي الملـك قعـد . وأنشد:

وحـــاربْ إذا حـــاربت
وكـن واحـدًا لـدنيا وعبـدًا
ولا تخـــش مخلوقًـــا
فمـا انقـادت الأمجـاد إلا

وإن شئت الزيادة ، وكثرة الإفادة ، فعليـك بالجـاحظ ، فـإنه لأخبـار الحيـوان حـافظ ، أو اسـأل غيـره وغيـري ، كالحيوان للدّميري .

وصل وسلم على المعصوم ، الذي علمنا كيـف نصـلي ونصوم ، ما مال الشيح والقيصوم ، واختلف الخصوم .

مقـامَـــة الـمـــوت

((قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ))

لقـــد لامنـــي عنـــد ... رفيقـــي لتـــذرافِ
القبـور علـى البكـا ... الـدموع السـوافكِ
أَمِنْ أجلِ قـبرٍ بـالملا ... على كل قبرٍ أو علـى
أنـــت نائـــح ... كـــل هالـــكِ
فقـال : أتبكـي كـل ... لِقبرٍ ثوى بين اللّـوى

الموت هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات ، ميتـم البنيـن والبنات ، مخرب الديار العامرات ، أسقى النفوس ، مـرارة الكـؤوس ، وأنـزل التيجـان مـن علـى الـرؤوس، نقـل أهـل القصور إلى القبور ، وسـلّ علـى الأحيـاء سـيفه المنشـور ، ألصق الخدود باللحود ، وساوى بيـن السـيد والمسـود ، زار الرسل والأنبياء ، وأخذ الأذكياء والأغبياء ، فاجأ أهل الأفـراح بالأتراح ، ونادى فيهم الـرواح الـرواح ، كـم مـن وجـه بكفـه لطمه، وكم من رأس بفأسه حطّمه ، يأخذ الطفل وفمه في ثدي أمِّه ، ويخنق النائم ورأسه على كمِّـه ، ينـزل الفـارس من على ظهر الفرس ، ويقتلع الغـارس ومـا غـرس ، يخلـع الوزير من الوزارة ، ويحطّ الأميـر مـن الإمـارة ، إذا اكتمـل الشاب ، وماس في الثيـاب ، وصـار قـوي الجنـاب ، يُرجـى ويُهاب، عفّر أنفه فـي الـتراب ، يـدوس ذا البـأس الشـديد ، والرأي السديد ، ويبطح كل بطل صنديد ، ولو كان خالد بـن الوليد ، أو هارون الرشيد ، يسحب الملـوك مـن العـروش ، ويركب الجيـوش علـى النعـوش ، أسـكت خطبـاء المنـابر ، وأذهل حملة المحابر ، وشتت أهل الدفاتر ، وطـرح الأحيـاء في المقابر ، كسر ظهور الأكاسره ، قصّر آمـال القياصـره، زلزل أساس ساسان ، وما سلم منه سليمان ، وما نجا منـه قحطان وعدنان، صبّح ثمـود وعـاد ، وخـرّب دار شـداد ومـا شـاد ، وهـدم إرم ذات العمـاد ، الـتي لـم يخلـق مثلهـا فـي البلاد، لا يترك السلاطين ، حتى يوسـدهم الطيـن ، لا تظـن أنك منه ناج ، ولو سكنت الأبراج .

مقامة الموت

الموت ينادي كل صباح : الرواح الـرواح ، ويصـيح كـل مسـاء : يـا حسـرة علـى الأحيـاء ، ويقـول للنـاس : إبدوا للموت وابنوا للخراب ، فكلكم يصير إلـى ذهـاب ، يـا مـن أعجبه شبابه ، وألهته ثيابه ، وأحـاط بـه حرسُـه وحجـابُه ، أنسيت الموت وقد وصلك ركابُه ، يا من أشـغله السـكن ، وحـب الـوطن ، وأمـن المحـن ، كأنـك بـالموت زارك ، وهدم دارك .

ستنقلك المنايا عن ديـــــــــــارك ... ويبـــدلك البِلا داراً بـــــــــــــدارك

فـدود القـبر فـي ... وترعى عين غيـرك

الموت كأس يدور علـى الأحيـاء ، لابـد أن يشـربه أبنـاء حواء ، الموت ليس لـه موعـد مناسـب ، فهـو يـأتي القاعـد والماشي والراكب ، في ليلة الزفاف ، إذا اجتمع الأضياف ، يقدم الموت بحشوده ، ويهجـم بجنـوده ، يأخـذ العريـس أو العروس ، لأن مهمته قطف النفوس ، يهنّأ الإنسان بالإمارة ، ويبارك له بالوزارة ، ثم يشنّ عليه الموت الغارة .

يولـد المولـود ، ويعـود المفقـود ، ثـم يفجـؤ المـوت الجميع بروعتـه، فتمـتزج بسـمة المحـب بـدمعته ، يكتمـل الاجتمـاع ، ويلتقـي الأحبـاب مـن كـل البقـاع ، فـإذا تمـت السعاده، وكل قلـب بلـغ مـا أراده ، وصـل المـوت ففـرق الجمع ، وأسبل الدمع .

هـو المـوت مـا منـه ملاذ ومهـــــــرب ... مــتى حُــطَّ ذا عــن نعشــه ذاك يركــب

نؤمل آمـالاً ونرجـو ... وعـلّ الـردى مما

وقـف أحـد الصـالحين علـى المقـابر ، ودمعـه يتنـاثر ، فقـال : يـا مـوت مـاذا فعلـت بالأحبـاب ؟ ومـاذا صـنعت بالأصـحاب ؟ ثـم أجـاب نفسـه بنفسـه ، فقـال : يقـول المـوت : أكلـت الحـدقتين ، وأفنيـت العينيـن ، ونهشـت الشــفتين ، وقطعــت الأذنيــن، وفصــلت الكفيــن مــن الرسغين ، والرسـغين مـن السـاعدين ، والسـاعدين مـن العضدين ، والعضدين من الكتفين ، وفصلت القدمين مـن

الكعــبين ، والكعــبين مــن الســاقين ، والســاقين مــن الفخذين ، والفخذين من الوركين .

أتيـــت القبـــور أيـــن المعظّـــم
فناديتهـــــــا والمحتقـــــــر
تفـانوا جميعـاً فمـا ومـــاتوا جميعـــاً
مخـــــــــبر ومـــــات الخـــبر
فيـــا ســائلي عـــن أما لك فيمـا مضـى

مقامَة الموت

إذا رأيت قصراً مشيدا ، وملكاً عتيـدا ، وبأسـاً شـديدا ، فتذكر الموت فإذا القصر تراب ، والملـك خـراب ، والبـأس سراب .

إذا رأيت امرأة حسناء ، أو حديقة غنّاء ، أو روضة فيحاء ، فتذكر الموت فإذا الحسن مسلوب ، والجمال منهوب .

فضح الموت الدنيا ، فلم يدع لـذي لـب فرحـا ، ولكـن أين من صحا ، وأصلح فصار مفلحا .

بينـا تـرى الإنسـان ألفيتـه خـبراً مـن
فيهـــا مخـــبراً الأخبـــــــارِ
طبعـت علـى كـدر صفواً مـن الأقـذارِ

ويل لمن أشغله ماله ، وألهاه جماله ، وصده عيـاله . متى الإفاقة يا من بحب الدنيا مخمـور ، وببهرجهـا مغـرور ، أما تذكر إذا بعثر ما في القبور وحُصِّل ما في الصدور .

أيــن مــن رفرفــت عليهــم الرايــات ، ورفعــت لهــم العلامــات ، وأقيمــت لهــم الحفلات ، وانعقــدت لهــم المهرجانات .

**صـاحِ! هـذي قبورنـا ... تملأُ الرّحـــــــــ
خفِّفِ الوطء ما أظنُّ ... أدِيـــــــــــمَ الأ
سِرْ إن اسطعتَ فـي ... الهـــــواء رويـــدا
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً ... مـــــــــــرارا
ودفيـنٍ علـى بقايـا ... ضـاحكٍ مـن زلالِ**

**ـبَ فأين القبـورُ مـن ... عهـــــدِ عـــــادِ ؟
رضِ إلا مـــن هـــذه ... الأجســـــــادِ
لا اختيالاً على رُفـاتِ ... العبـــــــــادِ
ضـاحكٍ مـن تزاحـم ... الأضـــــــدادِ
فـي طويـل الأزمـان ... والآ**

أين من ولّى وعزل ، وأين مـن ظلـم وأيـن مـن عـدل ، وأين من سجن وجلـد وقتـل ، أيـن مـن حفـت بـه الجنـود ، واجتمعت عليه الحشود ، وخفقت على رأسـه البنـود ، أيـن من دارت عليه الكـؤوس ، وانخلعـت مـن هيبتـه النفـوس ، وطارت بـأوامره الـرؤوس ، أيـن مـن جمـع ومنـع وواصـل وقطع ، واغتنى وافتقر ، وهزم وانتصر .

**بـــاتوا علـــى قلـــلِ ... غلـــب الرجـــال فمـــا
الأجبـــالِ تحرســـهم ... أغنتهـــــم القلـــــل
واستنـــزلوا بعـد عـز ... إلى مقابرهم يا بئس
مـــــن معـــــاقلهم ... مـــــا نزلـــــوا
تلـــك الوجـــوه الـــتي ... مـــن دونهـــا تضـــرب
كـــــانت محجبـــــةٍ ... الأســـــتار والحلـــــل**

بعض السلف ذكر المـوت فخـارت قـواه ، وصـاح أوّاه، وبعضهم كاد أن يطير لبه ، وأن يتفطر قلبه .

إذا رأيت الإخوان والجيران والخلان ، **فتذكر كـل مـن عليها فان .**

إذا أبصرت البستان والأفنـان والأغصـان ، **فتذكر كـل من عليها فان .**

إذا شاهدت القصـور والـدور والحبـور والسـرور فتـذكر يوم يبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور .

الله سمّى الموت مصيبه ، وأنـت عنـه فـي غيبـه ، أخـذ القوي والضعيف ، والوضيع والشريف ، والغالب والمغلـوب ، والسالب والمسلوب ، قبر الغني جوار قبر الفقيـر ، وقـبر المأمور بجانب قبر الأمير .

الموت مباغت لا يستأذن ، ومهاجم لا يُؤمَن ، لا يترك شاباً ليكتمل شبابه ، ولا صاحباً ليتمتع به أصحابه ، ولا حبيباً يستأنس به أحبابه ، يفصّل الثوب فيأخذ صاحبه قبل أن يلبس ، ويبنى المجلس فيخترم الموت الباني قبل أن يجلس ، تزف المرأة لزوجها فيهاجمه الموت ليلة الزواج ، يزرع الزارع فيختلسه الموت قبل النتاج ، الموت له صور وأشكال ، ومشاهد وأحوال ، مرة يقتل بسيف أو برمح ، أو داء أو جرح ، أو بعرق ينبض ، أو بعضو يمرض ، أو بحرب هائله ، أو مجاعة قاتله ، المهم أنه لابد منه ، ولا محيص عنه

فهـرس الموضــوعــات

المـوضــوع الصفحـة

المقدمــة 3
بين يدي المقامـات 6
مقامة التوحيد 9
المقامـة الإلهية 14
المقامـة النّبويّة 21
المقامـة الكونيّة 27
المقامـة الحديثيّة 33
المقامـة العلميّة 39
المقامـة السلفيّة 44
المقامـة اليوسفيّة 49
المقامـة السليمانيّة 53
المقامـة الحُسينيّة 57
المقامـة التيميّة 61
مقامـة الإمام محمد بن عبد الوهّاب 70
المقامـة البازيّة 80
المقامـة الدعويّة 88
المقامـة الوعظيّة 93
المقامـة الجهاديّة 102
المقامـة الزهديّة 106
المقامـة الأدبية 109
المقامـة الخطابيّة 116
مقامـة التوبة 120
المقامـة التأريخيّة 124
المقامـة السلطانيّة 128
المقامـة الجامعيّة 132
المقامـة الشيطانيّة 138

المـوضــوع الصفحـة

المقامـة الأبويّة 142
المقامـة الصحفية 146
مقامـة القلم 149
مقامـة الكتاب 153
المقامـة الطبيّة 156
المقامـة التجاريّة 158
مقامـة المتنبي 162
المقامـة الشفائيّة 174
المقامـة الرمضانيّة 178
المقامـة الأخباريّة 182

مقامـة الحب..... 186
المقامـة النحويّة..... 193
مقامـة الجمال..... 197
المقامـة الفقهيّة..... 202
المقامـة الجغرافيّة..... 205
المقامـة البوليسيّة..... 207
مقامـة الهمّة..... 209
مقامـة البخلاء..... 214
مقامـة السعادة..... 218
مقامـة الفرج بعد الشدة..... 220
المقامـة الشبابيّة..... 225
المقامـة السياسيّة..... 230
المقامـة المكية..... 234
المقامـة المدنية..... 239
المقامـة النجدية..... 243
المقامـة السعودية..... 247
المقامـة السراتيّة..... 252
المقامـة الخليجية..... 257

المـوضــوع الصفحـة

المقامـة اليمانيـّة..... 261
المقامـة المصريّة..... 271
المقامـة الدمشقيّة..... 274
المقامـة البغداديّة..... 278
المقامـة الفلسطينيـّة..... 283
المقامـة الأندلسيّة..... 288
المقامـة الأفغانيّة..... 292
المقامـة الأمريكانية..... 295
المقامـة النسائيّة..... 305
مقامـة الحيّل..... 312
مقامـة الحيوان..... 315
مقامـة المـوت..... 325
الفهـرس 330